

كتورنجيه الكمال

# أعداء الإسلام

مؤسسة الرسالة



٤٢

تطلب جميع منشوراتنا من  
الشركة المنتجة للستوزيع  
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه  
هاتف: ٣٩٠٣٩٠ - ص ب: ٧٤٦٠ - بريقيا: بيوشران

دكتور نجيب الكيلاني

أعداء الأئمة السلاطين

مؤسسة الرسالة

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الثانية  
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه  
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ يرقياً : بيوشران



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

لقد استطاع الأعداء أن يوقعونا في بحر من الحيرة واضطراب  
وقلق ، بما سلطوه علينا من أفكار متناقضة ، وفنون مدمرة ،  
وسياسات خبيثة ، وهكذا غرقنا في طوفان من البلبلة والشك  
والتشويه العقائدي وضربنا في أعز ما نملك ألا وهي عقيدتنا الخالدة  
الصامدة ، وكان ذلك « العدوان » - ان صح التعبير - مدبرا بالمر  
والخدعة ، ومدعما بكل الأسلحة الفتاكة ، حتى يظل مسيطرا على  
ثرواتنا الكثيرة المتنوعة التي هي عماد حياته ، وعناصر تقدمه  
وتفوقه ، وأساس حضارته ونفوذه ، وحاول العدو جاهدا أن يبقينا  
ضعفاء ممزقين متناحرين ، وهو بذلك يضربنا من الداخل ، ويوفر  
على نفسه عناء الحشود والتضحيات ، وان كان في بعض الأحيان  
- عند الضرورة - يلجأ الى العدوان العسكري السافر ، وخاصة عندما  
يجد نفسه في حاجة ماسة الى ذلك ، لم يترك العدو اذن سلاخا  
الا واستخدمه ضده ، وظل دائما في حالة من الاستعداد واليقظة  
والتعبئة المادية والمعنوية ، حتى لا يدع أية فرصة الا ويستغلها ،  
لأن المسألة في نظره مسألة حياة أو موت بالنسبة له ، وما اسرائيل  
الا وسيلة من وسائله الشرسة .

ازاء ذلك كله نرى أنفسنا في حالة دفاع عن النفس ضد عوامل  
الابادة والافناء ، ولعل هذا من أعنف المعارك التي فرض علينا أن

نخوضها فى تاريخنا الطويل • واذا لم ندرك هذه الحقيقة سوف  
نسقط سقطة بشعة ، نتحمل نحن وزرنا ، ونجنى على مستقبل  
الأجيال الجديدة ، التى ستجد نفسها فى موقف صعب •• ومن هنا  
كان لابد لنا أن نبدأ من جديد •• فنعرف من نحن ؟ وما هى عقيدتنا  
المفوط بها النجاة والخلص والتحرر ؟ ومن هم أعداؤنا ؟ وما هى  
أساليبهم ، وكيف نواجه مخططاتهم وضرباتهم ؟ وكيف نعد أنفسنا  
لمعركة المصير ؟ ؟ ••

والهدف من وراء ذلك كله أن يكون لدينا قناعة تامة بما نؤمن  
به ، وأنه هو الطريق الوحيد للخلص ، وادراكنا السليم لما نعانيه  
من مؤامرات وأحقاد يجعلنا نحشد جهودنا ، ونوجهها الوجهة  
الصحيحة ، ولن يستطيع جيلنا الحائر أن يصل شاطئ اليقين والثقة  
والاطمئنان الا اذا اتخذ من دينه دواء لعلله ، وسلاحا فى معركته •

ان الطبيب قبل أن يشخص الداء ، لابد أن يعرف شكوى المريض  
وعلامات المرض وأعراضه وتاريخه وتطوره ، وأن يجرى الفحوص  
الضرورية التى تؤكد صدق نظريته ، ودرجة خطورة الداء ، ومن ثم  
فانه يستطيع أن يضع يده على الحقيقة ، ويعرف الطريق الى العلاج  
الحاسم •• وفى هذا الاطار تدور محاولاتنا من أجل الكشف عن علتنا  
وعن أسلوب النجاة من أخطارها ومضاعفاتها •• وهى فى الواقع  
محاولة اقدمها لأجيالنا وللشباب منهم خاصة الدعاة الى الله ••

فلنحاول معا أن نرتاد هذه الآفاق بجذ ودأب ، آمليين أن نصل  
إلى خطة عمل موحدة ، مستلهمة من تراثنا العظيم ، ومن تجربتنا  
الحضارية الإسلامية الأصيلة ، والله هو الموفق لما فيه الخير  
والسداد . .

شرشابة في ١٦ رجب ١٣٩٧ هـ

٣ يوليو ١٩٧٧ م

**نجيب الكيلاني**





## ما هي الاسلامية ؟

الاسلامية منهج فى الفكر والسلوك ، ومن ثم فانها تجمع بين النظرية والتطبيق ، وهذا المنهج منهج ربانى ، وليس من صنع البشر « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » ، فالاسلامية بتعبير آخر هي الدين الاسلامى ، وقد أراد الله لعباده بها خير الدنيا والآخرة ، وجعلها الله سبحانه وتعالى أساسا لحياة متوازنة يسعد فيها الفرد والمجتمع ، ولذا كان محورها الاخاء الصادق ، ولحمتها العدل الامثل ، وقوامها المحبة ، قضى جنبااتها بالايثار والتضحية ، وتخفق أعلامها بالطاعة لله ، والعمل من أجل مرضاته ، وفى رحابها يعيش الانسان عابدا لله وحده ، وهذه العبادة أسمى وأكبر من الطقوس الشكلية ، لأنها عبادة باللسان والقلب والعقل والعمل ، لا تلوثها أحقاد طبقية ، ولا فوازع دموية ، ولا ينحرف بها هوى النفس عن الجادة ، ينطبق عليها قول محمد صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فالؤمن الخاشع فى المحراب يؤدى صلاته ونسكه عابد ..

والمجاهد فى ميدان الجهاد الأسمى عابد ..

والعامل فى مصنعه أو حقله عابد ..

وطالب العلم فى قاعة الدرس ، أو فى مختبر التجارب العلمية

عابد ..

والتاجر الذى يرعى حق الله ، ولا يغش فى تجارته عابد . .  
والمرأة التى تسهر على راحة زوجها وأولادها ، وتكدح من أجلهم  
عابدة . .

والقاضى الذى يحكم بين الناس بالعدل ، ويتحرى الحقيقة عابد .  
والطبيب الذى يخفف آلام المرضى ، ويتخذ مختلف الوسائل  
للقضاء على الداء عابد . .

وقس على ذلك كل فرد من أفراد المجتمع يودى واجبه بأمانة  
واخلاص ، ويرعى حقوق الله وحقوق الناس ، ولا يخشى أحدا الا الله ،  
ولا يقصد من وراء عمله الا وجه الحق جل وعلا . .

فالاسلامية ان صح التعبير فلسفة الهية شاملة تغطى وجه الحياة  
بكل نواحيها وصورها ، سواء فى العلاقات الانسانية ، أو الجوانب  
السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وفى المسائل  
التشريعية أو القانونية ، وكذلك العلاقات الدولية ، والاحتكاكات  
العسكرية ، والابتداعات الأدبية والفنية ، وليس هذا المفهوم الشامل  
تقليدا لآى فكر من أفكار الفلاسفة القدامى أو المحدثين ، ولا محاولة  
مصطنعة لابرار الدين الاسلامى فى صورة غريبة عنه ، من أجل الترويج  
له ، أو الدفاع عنه ، فى مواجهة الزحف الفكرى والعقائدى الذى يسود  
العالم الحديث بآرائه ومبتكراته ، وانما كان هذا المفهوم الشامل  
للدين واقعا تاريخيا ، فقد قدم الاسلام تجربة حية قوية ، ناطقة بكل  
هذه المعانى طوال حقبة التاريخ ، ومن وراء هذه التجربة كان التراث  
الاسلامى المسجل حافظا لكل تلك القيم ، فهى مدونة فى القرآن كتاب  
الله المنزل ، وفى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفى سيرته

وأعماله وفيما استقاه الصحابة والتابعون من هذين النبعين الخالدين،  
حيث انعكست تلك القيم والأفكار على أقوالهم وأعمالهم وسلوكهم ،  
فنحن الآن أمام تجربة رائدة مكتملة الأداء من حيث التنظيم والتطبيق،  
ومن حيث النماذج البشرية التي أذهلت العالم بقدراتها الفائقة  
وطاقتها الهائلة ، ومنجزاتها الرائعة ، وحضارتها الفذة التي كانت  
— بالمقاييس الانسانية — أعظم حضارة عرفها التاريخ ..

تلك الحضارة التي جعلت شعارها التوحيد ، فلا معبود الا الله ،  
ولا خضوع لقوة من قوى الأرض ، سواء تمثلت هذه القوة فى فرد من  
الأفراد ، أو جيش من الجيوش ، أو ثروة من الثروات ، أو دولة من  
الدول ، ومن هنا تحررت ارادة الانسان من كل خوف ، وتنزهت عن  
عبادة أى وثن من الأوثان ، ورفعت رأسها فى شموخ وكبرياء ، ولم  
تخفض جباهها الا لله الواحد القهار وعشق شاعرنا اذ يقول :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست  
جباهنا تربها الا مصلينا  
لا ينزل النصر الا فوق رايتنا  
ولا تمس الظبي الا نواصينا

وكان من شعارات هذه الحضارة أيضا « لا اكراه فى الدين ، قد  
قبيح الرشد من الغي .. » (١) فلا يساق الناس بالعسف والارهاب  
لجرد اختلافهم فى رأى مع حاكم من الحكام ، ولا وجود للتصفيات

الجسدية أو ازهاق الأرواح ظلما وحقدا ، ولا يلقي بالناس فى غياهب السجون بسبب رأى يرتأونه ، أو نقد يوجهونه ، ولا تشرد الاطفال والنساء بسبب اتهام باطل يوجه الى عائلهم ، لقد كان لكل فرد الحق فى أن يقول ما يشاء ، فيتقارع الناس الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، فتتشرى الحياة بالجدل البناء ، والآراء الناضجة ، تحت راية الحب والحرية والاخاء ، وفى هذه الحضارة التى باركتها العناية الالهية ، ترعرعت القيم الفاضلة ، وزالت المفاسد والاوهام والخرافات ، وتألقت المواهب الانسانية فى كل ناحية ، وخطت الفتوحات العلمية خطوات واسعة الى الامام ، وفتحت النوافذ والأبواب لمختلف ألوان الفكر والثقافة ، وعاش الانسان آمنا على نفسه وأسرته ومستقبله ، لا يمزقه الغدر ، ولا يشله الخوف ، ولا يمسحه حاكم جبار لا يرحم ، وكانت هذه الحضارة الفريدة ترجمانا أميننا واقعيا لمعنى الاسلامية . كما كانت هذه الحضارة بقراتها وعلومها وتجاربها هى المفتاح لعصر التقدم العلمى والتكنولوجى الذى حملت لواءه أوربا فى القرون التالية . .

وكان من شعارات هذه الحضارة أيضا التقنيين . . نعم . . فقد وضعت الدساتير والقوانين واللوائح التى تنظم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين العامل وصاحب العمل ، وبين الغنى والفقير ، وبين الغالب والمغلوب فى الحروب ، وبين الدولة وجاراتها من الدول الأخرى ، وبين القائد والجنود ، وبين الزوج والزوجة ( الأحوال الشخصية ) ، وبين الأب وأبنائه ، . . . الخ .

هذا الشمول الفذ فى العلاقات ، وهذا التقنيين البارع ، لم نجد له

مثيلا من الحضارات السابقة، لقد بلغ درجة من الرقى والكمال والمثالية ، عجزت عنها كل الفلسفات القديمة والمعاصرة ، ومن ثم اتصفت بصفة الاعجاز ، فلا يستطيع فكر من الأفكار ، ولا فلسفة من الفلسفات أن تصل الى مستواها المذهل ، ثم اليس عجيبا أن يحظى المجتمع الاسلامى بهذا التقنين أو التشريع المثالى الرائد منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، مع أننا فى هذا العصر نرى دولا كثيرة تلجأ الى هدم الدساتير والقوانين ، وتهدم موازين العدل والحرية ، وتعتصم بالسلطات الاستثنائية ، والى القيود الغريبة لكبت الحريات ، والاحتكام الى شريعة الغاب ، والتفرقة العنصرية ، وترتكب أبشع المظالم والحقاقات باسم الحفاظ على أمن الدولة وأمن المواطنين وذلك كله فى الواقع حيل ساذجة للاحتفاظ بالسلطة ، والقشبت بكراسى الحكم ، واغتصاب المغنم الحرام من أيدي التعساء والمساكين الذين لا حول لهم ولا قوة ؟ ؟ اليس هذا عجيبا ؟ ؟ . .

وكان من أبرز معالم هذه الحضارة الاسلامية أن « المسلمين تتكافؤ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » حسبما ورد فى الهدى النبوى ، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم كما نص القرآن الكريم ، فأصبح الانسان فى ظل المعانى الاسلامية الخالدة فردا حرا قادرا على العطاء الأمثل ، له حقوق ، وعليه واجبات ، تتفق والطبيعة الانسانية ، وتلتزم بقيم العدل والخير والمساواة ، ولا يتميز هذا الفرد بحسب ولا نسب ولا لون ولا جنس ، ولا انتماء لكبير أو صغير ، أو حاكم أو محكوم ، وإنما يتميزه ينبع من العمل الصالح المفيد الذى يخدم به دينه وأمته ونفسه ، وكانت هذه الصورة الزاهية ، هى وليدة

المجتمع القرآنى ، المجتمع الفاضل الذى تمثل قيم الاسلام ومعانيه  
فى القول والسلوك ، وفى الوسيلة والهدف ، وفى السلم والحرب ،  
وفى المسجد والشارع والحقل والمصنع وساحة الجهاد وفى البيت ،  
وفى السر والعلن « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن  
اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » (١) .

من هذه العناصر الأصيلة تكونت شخصية الفرد المسلم ، تلك  
الشخصية ذات الملامح الواضحة المحددة ، التى استطاعت أن تحطم  
الحاجز بين النظرية والتطبيق ، فأصبح الشعار عملا وسلوكا ،  
وتحوّلت الأفكار الى كائنات حية تدب على الأرض ، وتمشى بين  
الناس ، وأصبحت الآيات القرآنية ، وكذلك الأحاديث والأعمال  
النبوية حركة وفعلا ايجابيا ، فعاش الناس فى رضى واطمئنان ،  
وامتلأت قلوبهم بالثقة والأمل ، وزخر المجتمع الاسلامى بالرجال  
الذين يحملون المسؤولية عن وعى وبصيرة ، يكافحون فى ايمان  
وصبر ، لا يريدون غير وجه الله ، وتوارت وساوس النفاق والغدر  
والأنانية « ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم  
الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون .  
نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى  
أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون » (٢) .

وكان من علامات هذه الحضارة الاسلامية أنها فهمت قضية التطور

---

(١) يوسف آية ١٠٨

(٢) فصلت آية ٣٠/٣١

والثبات فهما حقيقا سليما ، يتسم بالواقعية والصدق ، فقد أكدت التجربة أن شريعة الله صالحة لكل زمان ومكان فى أصولها وحقائقها الأزلية التى ترتبط بطبيعة الانسان وباحتياجاته الفطرية البديهية . ومن ثم أصبحت هذه الأصول والقواعد والقوانين ثابتة لا تتغير ، فلا تغير مثلا فى الايمان بالتوحيد أو فى الحدود المشروعة أو قوانين الميراث أو شعائر العبادات أو الأخلاقيات الشخصية من صدق وأمانة وتعاون وعدل ومشورة ، وغير ذلك من الأصول والقواعد والكليات التى زخرت بها الشريعة ، وهناك بعض الأمور تركها الشارع لتتغير وتتواءم مع طبيعة الأزمنة والامكنة ، وهى أمور لم ترد فيها نصوص ، وهذا لم يحدث سهوا ، حاشا لله ، وانما تركت قصدا ، والهدف من ذلك واضح جلى لكل ذى عقل ، والأحكام فى مثل هذه الأمور ترجع الى ذوى البصر والبصيرة من علماء المسلمين المتخصصين الذين يلتزمون فى تأويلاتهم وآرائهم وأحكامهم بالمعنى العام ، وبالروح الاسلامية المهيمنة على أفكارهم وتصرفاتهم ، ومن ثم فلن يخرج منهم الا ما كان ملتزما بروح التشريع وآدابه ومقاصده ، ومن ثم فلا ضرر ولا ضرار ، والضرورات تبيح المحظورات ، وهناك القياس والاجماع .. وباب الاجتهاد كان وما زال مفتوحا أمام ذوى الخبرة والتخصص لكى يقولوا كلمة الاسلام ، ولن يقولوها الا اذا كانوا أهلا لها ، واتخذوا من كافة الوسائل والاستعدادات ما يجعلهم كفيلين بقولها ..

ومن أبرز ملامح تلك الحضارة الاسلامية أنها احترمت العلم والعلماء فى شتى فروع المعرفة الدينية والدنيوية ، ولهذا نجد تراثا ضخما فى العقيدة والتفسير والفقه واللغة والرياضيات والفلك

والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وعلوم النبات والحيوان ، والفلسفة والاجتماع والدراسات النفسية والطبية وغيرها ، وكانت هذه الحضارة واسعة الأفق بحيث ترجمت تراث الحضارات الأخرى ، وتناولتها بالدراسة والتمحيص والنقد والتقيق ، وخرجت بها الى حيز « التجربة العملية » ، وهذا انقلاب تاريخي خطير ، كان له أعمق الأثر في تاريخ البشرية جمعاء ، فانطلق العلماء في كل فج وصوب يكتشفون وينقبون ، ويصححون ، ويزيدون وينقصون ، وليس هذا بغريب على دين جعل من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبذلك أصبح العلم جزءا من الدين ، بل ان العقيدة بأبوابها المختلفة ونصوصها وقوانينها كان تناولها كله بطريقة علمية فذة معجزة . .

ولم تغفل الحضارة الإسلامية جانب الفن ، فتألق فن الشعر والكتابة والقصة ، وقدم الشعراء والكتاب تراثا خالدا يتميز بالعمق والأصالة ، ويبعد عن الوثنية والانحراف العقائدي ، ويخدم المجتمع القائم في حدود الصورة الاجتماعية التي كانت تناسب تلك العصور ، ولم تعترض حركات التجديد في الأشكال الفنية المختلفة ، وأصبح العلماء والشعراء والكتاب قادة الفكر في أمة تحترم الفكر ، وتقدر حريته ، وقد يرى الكثيرون أن المذاهب المختلفة وتصارعها كان لها أثر بعيد المدى في تفتيت الأمة ، وتحطيم وحدتها ، ومع ذلك فان هذه الخلافات والانسراعات المذهبية كانت صورة قوية لما في ذلك المجتمع من حرية الفكر والرأى ، وتعبيرا عما يعن للمفكرين من وجهات نظر لم يقمعها سيف ظالم ، ولم تكبتها ارادة طاغية ، هذه الحرية في الواقع كانت سلاحا ذا حدين ، أفادت من جانب ، وأضرت من جانب



آخر ، لكنها أولا وأخيرا دليل على ما كان يستمتع به أفراد المجتمع المسلم من حرية .. ولو أن اندس فيها أعداء الاسلام ، وانحرفوا بها عن الجادة ، واستغلوا تلك الحرية أبشع استغلال ، لضرب الزحف الاسلامى الجبار ، لولا ذلك لتغير وجه العالم ، ولتولدت عن تلك الحضارة روافد غنية بكل رائع ونبيل من القيم والأفكار والمنجزات العظيمة ..

\*\*\*

تلك كانت بعض سمات الحضارة الاسلامية ، ولعلنا لاحظنا من خلال العرض الموجز الذى قدمناه أنها ضرورة صادقة لما نقصده بكلمة « الاسلامية » التى هى منهج فى الفكر والسلوك ، وواضح أن التجربة قد أثبتت نجاحها وصدقها وملاءمتها لطبيعة الانسان أيا كان هذا الانسان فى أى عصر من العصور ، وفى أى صقع من الأصقاع ..

لكن المشكلة الكبرى تكمن فى أن عددا كبيرا من الدعاة الى الاسلام فى عصرنا يعتقدون أن الدعوة مجرد كلمات تقال حول الاسلام ومبادئه العظيمة ، أو أنها مجرد كتاب يكتب من ناحية من النواحي التى تبرز محاسن الاسلام واعجازه ، ان الكلمة سواء أكانت خطبة أو مقالة أو كتاب أو قصة أو قصيدة أو مسرحية ، برغم أهميتها وضرورتها ليست هى كل شئ ..

ان الدعوة بالكلمة يجب أن يواكبها الفعل ..

ولكى أوضح ذلك أقول ان علينا أن ننزل الى الشوارع والأحياء ، الى القرى والكفور والمدن ، ونبحث عن مشاكل الناس على الطبيعة ،

ونحاول أن نشاركهم فى البحث عن حل لمعاناتهم اليومية ، قد يكون هذا الحل فى ايجاد مستشفى أو مدرسة أو دار لمحو أمية الأميين ، أو فى انشاء مصنع صغير يستوعب العاطلين ، أو جمع الزكاة لتوزع على العجزة والفقراء والمحتاجين ، أو حل مشكلة مساكن أو مواصلات أو مياه . . . أن نواسى الناس فى أحزانهم ، ونشاركهم فى أفراحهم ، وأن نمد يد العون لهم فى كل ما يحتاجون اليه بقدر الاستطاعة . . . أريد أن أقول ان الناس شبعت كلاما ويريدون فعلا ، ولقد كان المسلمون الأوائل يدركون ذلك ، فعاشوا قضايا عصرهم أو مجتمعاتهم وساهموا فى حل مشاكله وقضاياها ، وكذلك فعلت بعض الجماعات الاسلامية فى عصرنا الحديث فتوافد اليها الناس من كل فج وصوب ، ووجد الناس الفرصة مواتية ليعبروا عن رضاهم وارتياحهم فتوحدوا فى جبهة واحدة تعمل من أجل المجموع . . . من أجل الصالح العام .

هذه الحقيقة الاجتماعية أصبحت معروفة وواضحة لدى الجميع ، ومن ثم فلا عجب أن نرى المبشرين فى مختلف الأديان يبنون المعبد مع المستشفى والمدرسة ويطبّقون مناهجهم هنا وهناك ، وذلك هو أقرب طريق الى عقول البشر وقلوبهم . . . نعم الدعوة يجب أن تكون مقرونة بالخدمات ، هكذا فعل أجدادنا المسلمون الأذكيا بوحى من كتاب الله وسنة نبيه ، ومن ثم تتغير الصورة التقليدية للداعية ، فلا يصبح مجرد انسان يتزى بزي معين ، ويطلق كلمات جذابة مشحونة بالعاطفة والبلاغة وقوة التأثير فحسب ، بل يصبح الداعية مصلحا اجتماعيا ، ورائدا من رواد التغيير الى الأفضل ، وطبيبا يعالج أمراض المجتمع ، ويأخذ بيد الناس الى العمل الايجابى ، والى

المشاركة الفعلية فى تعديل المسار ، فتنطلق الجموع الى الغد المشرق  
الباسم ، وتمتلئ قلوبهم بالفقة والأمل . . ولكى يكون الداعية قوة  
بناء مؤثرة لابد أن يكون قدوة حسنة « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون  
مالا تفعلون ؟؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

هذه نقطة . .

والثانية أن يتخذ الداعية وسائل العصر الحديثة مطية الى أهدافه  
الشريفة ، فالتعبير المباشر كالخطبة أو المقالة أو الدرس لم تعد وحدها  
كافية لاجداث التغيير المنشود ، ان الفنون تلعب دورا خطيرا فى التأثير  
على وجدان الناس وآرائهم وسلوكهم ومن ثم فان الدعاة فى عصرنا  
يجب أن يعرفوا تكنيك المسرحية والرواية والتمثيلية والأفلام  
السينمائية وغيرها ، تلك الوسائل التى يقبل على سماعها ومشاهدتها  
آلاف الملايين فى شتى أنحاء الأرض . . ان فن الغرض الحديث أمر  
لا مناص لنا من دراسته وفهمه من أجل الوصول الى الجماهير  
العريضة واقناعها من خلال ذلك الحشد الهائل من الفلسفات والأفكار  
المنحرفة التى يعج بها عالمنا المعاصر . . وليس ذلك ببذعة ، وانما  
كان المسلمون الأوائل يحتفون بالاعلام الاسلامى فى حدود امكانيات  
عصرهم . . ولذا فانه بات من الضرورى الزحف على وسائل الاعلام  
المختلفة وأن يكون سلاحنا فى هذا الزحف الفهم الواعى لهذه الفنون  
وأثرها وأهميتها ، وأن نجد الكفاءات والمواهب الحقيقية لجيش  
الاعلام الاسلامى ، فقد أصبحت الأسلحة الاعلامية أقوى وأفعل من  
السيف والمدفع والدبابة والطائرة ، لاننا نريد غزو العقول والقلوب  
والنفوس قبل أن نفكر فى غزو الارض . .

( ٢ - أعداء الاسلامية )

ولن تكون الاسلامية واقعا حيا الا اذا اجتمع الفكر والسلوك ،  
او النظرية والتطبيق ، ولن تصل هذه الاسلامية الى عقول الناس  
وقلوبهم الا بالقدوة والمشاركة البناءة في حل مشاكل الناس ،  
واتخاذ أحدث أساليب العلم والتكنولوجيا في معركة الاسلام ضد  
أعدائه .. ضد قوى الشر والفساد والانحراف والأغلبية والتسلط ..  
والآن ننتقل الى سؤال آخر ألا وهو :

**من هم أعداء الاسلام ؟ ؟ ..**

## أعداء الاسلاميه

اذا كانت الاسلاميه على هذا النحو الفريد من حيث النظرية والتطبيق ، فلماذا توجه اليها سهام العداء المسمومة ؟ ؟ وما السبب الكامن وراء الحملات العتيقة التي تعد وتدفع لهدم صرحها ، ودك بنيانها ؟ ؟ واذا كانت البشرية في مرحلة الطفولة القديمة تتصرف بسذاجة وحماسة ، فما هو العذر الذي يقدمه عصرنا - عصر التقدم والعلم والتكنولوجيا - لما يكنه من خصومة قاسية مريرة للاسلاميه ؟ ؟ واذا كان هذا العداء لا يحقق مصلحة حقيقية للبشرية ، ولا يخدم قضاياها المصيرية فكيف نفسر تلك الهجمات المتتالية التي لا ترحم ؟ ؟

أسئلة عديدة تدور في ذهن أى باحث ، وتؤرق العاملين في الحقل الاسلامى ، والواقع أن الناس أعداء ما جهلوا ، فهناك فئة من الناس ليس لديها الوقت أو الرغبة لتحرى الحقيقة ، انها ألفت مذهباً بعينه ، أو فلسفة في الحياة استساغتها ، وليست على استعداد لتحرى الحقائق ، وتمحيص ما يعرض عليها من أفكار ومبادئ ، وهذا الصنف من الناس ينظر الى الموضوع نظرة سطحية ، فيرى حال المسلمين وما آلوا اليه من تمزق وتخلف ، وما هم فيه من تناقض ووهن وكسل ، فيتبادر الى ذهنه أن الاسلاميه بذلك قد جانبها التوفيق في خلق جيل قوى يفهم الحياة العصرية فهما سليما ، وأنها لو كانت كما يصورها أصحابها لقضت على أمراض مجتمعاتها ، ولخلقت أمة

قادرة على تخطى الصعاب ولأمكنها أن تسير فى مقدمة الأمم الراقية، ولبرزت مثيلاتها فى كل أنواع النشاطات الانسانية من علمية وثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية ، ولا شك أن الصورة القائمة التى تقدمها المجتمعات الاسلامية صورة قاتمة لا تشجع الغالبية العظمى من رجال الفكر والسياسة ، هذه حقيقة لا يمكن انكارها .

لكن هل استطاعت شعوبنا الاسلامية أن تتمثل المعانى الاسلامية وتفهمها حق الفهم ، وتطبقها فى واقعها المعاصر ؟ ؟ ان المسلمين أنفسهم قد تراخوا عن فهم الرسالة وأدائها على الوجه الأكمل ، ولم يتحمسوا لمضامينها الفكرية التحمس الكافى ، بل اتخذوا من الفلسفات الوضعية - فلسفات الأعداء - منطلقا لتصوراتهم وحياتهم الجديدة ، ومن ثم فان الاسلامية فى عصرنا لم توضع بعد موضع التجربة والاختبار حتى يمكن الحكم على أصالتها فى مجال التطبيق . فضلا عن أن الفلسفات المعادية استطاعت بخبثها ودهائها وامكانياتها الهائلة أن تثير الشكوك حول الاسلامية ومضامينها ، ووجدت تلك الفلسفات الفرصة سانحة لاثارة الشبهات بسبب بعد المسلمين عن قرائثهم ، وعدم اهتمامهم به ، وعزوفهم عن فهمه وإدراك أسرار، وعظمة ما فيه من مبادئ وتفسيرات . .

نعم . . ان امكانيات الأعداء قوية ومبهرة ، لأنهم قطعوا شوطا كبيرا فى مجال التقدم والسيطرة والنفوذ ، فسخروا ما لديهم من قوة وعلم ونفوذ لسحق أفكار الآخرين وهدمها ، وذلك من خلال الغزو

الفكرى الذى جندوا له أفئك الأسلحة وأخطرها .

وإذا كان لدينا المسلم ديناً وميلاداً وأرضاً ، فإن ذلك المسلم يفكر كما يفكر الأعداء ، ويلبس مثلما يلبسون ، ويأكل كما يأكلون ، ويسلك فى الحياة اليومية سلوكاً يكاد يكون صورة طبق الأصل من سلوك الأعداء ، ولهذا السبب تميّعت شخصية المسلم واندثرت أو كادت ، فهو من الناحية الجغرافية والتاريخية مسلم ، وهو فى فكره وسلوكه غير مسلم ، أن ذلك التمزق الفكرى والوجدانى قد جعل منا مسخاً مشوهاً لا يعبر بحال من الأحوال عن الشخصية الإسلامية المتميزة ، ومن هنا كان انتاجنا فى الفكر والفن والفلسفة انتاجاً مستعاراً من غيرنا ، لا يمت بصلة تذكر إلى تراثنا وعقيدتنا ، بل أن هذه الشخصية المتميعة الهلامية أصبحت هى خط الهجوم الأول على الإسلام والمسلمين ، وأصبحت تكيل الاتهامات جزافاً لكل ما هو إسلامى ، باسم العصرية تارة ، وباسم التقدمية وحماية التطور تارة أخرى ، وباسم البعد عن التعصب والرجعية والجمود حيناً آخر ، وإذا كانت الفنون لها أعمق الأثر فى تشكيل الفكر والوجدان ، فقد قلّد مفكرون الأعداء فيما يكتبون ، لذا نجد القصص والأفلام والمسرحيات والأشعار أغلبها يستعير الموضوعات والأساليب الغريبة ، ويبرز الشخصيات الشاذة فى تصرفاتها وأفكارها ، والتى تنبع تصوراتها وسلوكها من منبع آخر دخيل غير منابعنا الأصيلة ، ولهذا قل ما يمكن أن نسميه بالفن الإسلامى أو الأدب الإسلامى أو الفكر الإسلامى ، وكان حرياً بكتابنا وعلمائنا أن يستلهموا تراثهم ومبادئهم وضمائرهم ، فلا يسقطوا فى براثن التقليد ، ولا يبعدوا عن المكونات الأساسية لشخصيتهم ،

ولا يخوبوا في أتون الغزو الفكري الذي ابتلاهم الأعداء به . . .

من هنا نرى أننا - بهذا السلوك - قد أصبحنا ألد أعداء  
أنفسنا . . نعم نحن السبب الأول والأساس في هدم مفهوم الإسلامية  
في عقولنا وقلوبنا ومجتمعاتنا . .

إن المرأة المسلمة قد تؤدي الصلاة ، وتصوم رمضان ، وتحج  
البيت وتقر بالتوحيد ، لكنها قد تسير حاسرة الرأس ، عارية الصدر  
والذراعين ، ثوبها فوق ركبتيها ، وتقلد الأجنبية في سلوكها مع  
الجنس الآخر .

ونرى الرجل المسلم يعرف عن تاريخ أوروبا والعالم ، وعن تاريخ  
الاقتصاد العالمي أكثر بكثير مما يعرفه عن تاريخ الحضارة الإسلامية  
الرائدة وفكرها واقتصادها ، حتى الكليات والجامعات تركز أيما تركيز  
على أصول الفكر الغربي ومدارسه ولا تكاد تهتم بأصول الفكر  
الإسلامي واقتصادياته وقوانينه . . وماذا يريد أعداؤنا غير ذلك ؟  
لقد تحقق لهم ما يريدون على أيحينا نحن ، واستطاعوا أن يدمروا  
حصوننا من الداخل وبأيدينا ، ومن ثم فلا مناص من أن نضع أسسا  
جديدة للتربية والتعليم في بلادنا الإسلامية ، أسسا تنهض عليها  
تنشئة الأجيال وتعليمها وتوجيهها ، هذه الأسس لابد أن تكون  
مستمدة من منابع الفكر الإسلامي ومدرسته القرآنية وآدابه الحميدة ،  
هذه واحدة .

والثانية أن وسائل الاعلام برغم ما فيها من برامج دينية ،  
وتلاوات قرآنية ، قد أصابها الاضطراب والخلل ، وعشش فيها



التناقض والتخبط ، فهي الى جانب فقراتها الدينية المباشرة تخلط السم بالعسل ، فنرى تمثيلياتها ومسلسلاتها وندواتها تمضي مقلده للغرب في نظرتة للحياة والكون والانسان ، وتؤثر في الوجدان والفكر أعمق تأثير وأخطره ، هذه الوسائل الاعلامية تفسح الطريق امام الفكر المنحل ، والتصور المنحرف للعلاقات الانسانية ، سواء في الصلات الفردية أو الاجتماعية ، فالزوجة تحب وتعشق وتخرج وتمازس لعبة الشيطان مع رجل غير زوجها ، في اطار من التبرير الزائف ، تبرير المفسد والانحرافات والرذيلة ، والمجرم يبدو في اطار المظلوم المغلوب على أمره ، والانتهازيون يسمون انحرافهم مهارة ولباقة وذكاء .. والمحتلون والمصابرون بالشفوذ والهوس ينسبون ذلك الى فلسفة جديدة . قوامها الحرية واشباع الرغبات ، مخافة السقوط في برائن العلل النفسية ، ومركبات النقص ، فماذا تجدى الأحاديث الدينية ، والتلاوات القرآنية ، أمام هذا الركام الهائل من المفسد والانحرافات والفوضى الفكرية والسلوكية ؟ ؟

ان المسكين بزمام الرأي والتوجيه والتربية نماذج بشرية عليلة لا تستطيع أن تقوم على تربية جيل ، وتسهر على توجيه أمة من الأمم ، ولا يمكنها - بحكم نشأتها وتربيتها وثقافتها - أن تقدم الاسلامية في اطار سليم صحيح ، ولا تستطيع أن تنصدي لسهام الأعداء ، لأنهم في الواقع - سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا - فرقة من ذلك الجيش الهائل ، جيش الغزو الفكرى ..

لذلك سأننى أقول مرة أخرى اننا نشكل قوة ضاربة تعادى الاسلامية وتساهم في القضاء عليها ، وهيئات نستطيع أن نفعل شيئاً قبل أن

نزاح هذه العوائق من الطريق ، وتوضع أمانة التوجيه والتأثير في  
الرأى العام ، فى أيد أمينة تقدر المسئولية ، وتعرف الطريق السوى  
الى الهدف الأسمى .. الى الاسلاميه باعتبارها منهجا فى الفكر  
والسلوك ..

وليس معنى ذلك أن نقف مستعدين منتظرين حتى يأتى إلينا من  
بيدهم الأمر ليأخذونا الى حيث مراكز الدعوة والتوجيه .. لا ..  
هذا غير معقول ، بل علينا أن نتحرك ونأخذ للأمر عدته من علم وثقافة  
وتجربة وعزم ، ثم نزاح هؤلاء المنحرفين بالمفالكب ، ونأخذ أمانتنا  
بالكفاءة والجدارة وتقديم النماذج البديلة .. تقديم البدائل هو الحل ،  
فالناس لا يمكن أن يعيشوا فى فراغ ، وإذا أردنا أن نزيح صناعة  
زائفة ، أو فكرا منحرفا ، فلا بد أن نغرس مكانه النبتة الصالحة فى  
التربة الصالحة ، ونوالىها بالرى والغذاء ، حتى تورق وتثمر  
وتتعرعر ..

وعلىنا أن نعرف جيدا كيف يفكر عدونا ، وكيف يخطط ويرسم ،  
وكيف يمضى فى معركته ، وما هى الطريقة التى يوهن بها قوانا  
وعزائنا ومعتقداتنا ، عندئذ نستطيع أن نعد الأسلحة المضادة التى  
تقل سلاحه ، وتفشل مخططه ..

وهذا يجرنا الى الحديث عن الداعية الاسلامى الجديد فى عصرنا  
الحديث .

هذا الداعية يجب أن يكون مؤهلا التأهيل الكافى المناسب .  
مستخدما أدوات العصر ووسائله فى مجال الاقناع والتأثير حسبما

أسلفنا فى الفصل الأول ، وعليه أن يتخذ عدته من كل ما يحفل به عصرنا من معارف وثقافات ، انه فى حاجة بديهية الى الامام بتراثه الاسلامى الماما معقولا شافيا ، ولا بد له من دراسة علم الاجتماع والدراسات النفسية فى حدود الامكان ، ولا بد له من معرفة أصول علم الاقتصاد ، وقدرنا من فلسفة الفنون والاعلام وغير ذلك من ألوان المعرفة التى أصبحت ثقافة عامة فى عصرنا ولا غنى لاي مثقف عنها . .

هذا الاعداد أمر لا مفر منه ، والا فكيف أضح عالما من علماء الدين التقليديين فى مواجهة طائفة من المثقفين العصريين أو الجامعيين ، ثم لا يستطيع الاجابة أو عقد المقارنات بين الاسلام وغيره من الفلسفات المعاصرة ، ان احتياجات الحاضر ، ومشاكل المجتمع والواقع الحى الذى نعيشه ، والتساؤلات الملحة فى مجالات السياسة والتربية والفكر والفن والاقتصاد ، كلها تفرض نفسها فرضا على ندواتنا ومجالسنا وصحفنا ، ولا بد من تحايل كل ذلك ، ورده الى أصوله ، كى نصل الى الطريق الصحيح . . طريق الاسلامية . .

ولا بد من الاهتمام بالطفل اهتماما خاصا قبل سن المدرسة ، وفى أثناء سنوات الدراسة ، ان بلادنا الاسلامية لم تعط الطفل حقه الكامل حتى الآن ، فهو متروك لمشيئة الأبوين ، وتوجيه البيت ، مع أننا نرى فى أوروبا مثلا ، سينما للأطفال ومسرحا للأطفال وعديدا من صحف ومجلات الأطفال ، وكتبا خاصة بهم ، ونوادر يمرحون ويتعلمون ويتربون فيها ، انهم هناك يغرسون فى أطفالهم ما يريدون لهم من توجيه وتوعية ، فينشأ الطفل على المعانى والقيم التى يريدونها ،

أما أطفالنا فيعيشون فى ضياع ، وإذا ذهب الى المدرسة وجد نفسه  
تائها فى حجرة دراسية قد تضم ستين طفلا ، ولا يجد من المناهج  
الاسلامية الناجحة الشيقة ما يشده الى ينابيع دينه ، ومن ثم نجد  
أطفالنا يتحلقون حول شاشة التليفزيون ، أو يجلسون مستمعين  
للمسلسلات الاذاعية مثل الكبار تماما ، وهنا يتعلمون عبارات الغزل ،  
والفكات البذيئة ، وحيل العصابات والقتلة والغشاشين ، فينشأون  
فى جو فكرى مسمم ، ويخرجون الى الحياة الكبيرة حيث الشارع  
بتقاليده المنحرفة ، وحيث السلوك بضلاله وشذوذه ، وحيث الصراع  
والزحام المجنون الذى لا يرحم . . فكيف يصبح هذا الطفل فى المستقبل  
رجلا يتمثل الاسلامية فكرا وسلوكا بعد أن افتقد لها فى البيت  
والمدرسة والشارع وفى وسائل الاعلام المخنفة ؟ ؟

أمر آخر لايد من التعرف عليه ، وهو أن هناك نوعا آخر من العداء  
نستطيع أن نسميه « عداء المصلحة » ، وهذا العداء يحمله أولئك الذين  
تتعارض مصالحهم مع سيادة الاسلامية وسيطرتها على مناخى حياتنا  
فالذين يستغلون العباد ، ويسخرونهم بأبغس الأثمان ، ويسرقون  
جيودهم وعرقهم ، ويوجهونهم الوجهة التى تتفق وأهدافهم ، هؤلاء  
الطغاة يخافون على سلطانهم أن يزول ، وعلى مكاسبهم أن تنمحى  
أو تتناقص ، ومن ثم فهم أعداء لآى تغيير أو تطور يمس مصالحهم ،  
ويتعارض مع مخططاتهم .

وفئة أخرى وثيقة الصلة بالفئة الاولى قد ألفت حياة الاباحية  
والبذخ والسقوط ، ويقضون أيامهم فى العبت ومعاقرة الخمر ، وارثكاب

الفواحش أو الموبقات ، هؤلاء جميعا - وان كان غالبيتهم من المسلمين  
اسما - يخافون العقوبة ، ويقفون مذعورين أمام مبادئ العفاف  
والشرف ، فقد ألفوا العيش فى مستنقعات الرذيلة ، تلك التى يجنون  
من ورائها المتعة الزائفة والمكاسب المادية أو الدنيوية التافهة ، ولذا  
نراهم يسيرون بين الخلق بدعوى الجاهلية والاباحية والفوضى ،  
ويزعمون أن تلك هى الحرية التى هى من حق الجميع . . حرية  
العقوق والفسوق ، ونسوا أن مثل تلك الحرية المزعومة هدم لانفسهم  
ولمجتمعاتهم ولأوطانهم .

وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، لانهم لا يكتفون بالممارسة المشينة  
لهذه التصرفات ، وانما يروجون لها ، ويفلسفونها ويعتبرونها ضربا  
من التقدم أو التحضر أو المدنية ، ويفرزون فى ظلها الافكار والفنون  
والآداب المسمومة ، فتبدو هذه الانحرافات الخطيرة وكأنها هى الواقع  
الذى يجب أن يكون ، وهى الفلسفة السليمة التى يجب أن يسيروا  
على نهجها ، هؤلاء جميعا تتلمذوا على أيدي أساتذة الدمار والانهيـار  
من مفكرى الاستعمار والالحاد والصهيونية ، ونسوا أو تناسوا أن  
فى ذلك فساد الدنيا والآخرة ، وأن الخانعين المستهترين لا يمكن أن  
يبثوا أمة ، أو يحققوا نصرا ، أو ينالوا استقلالاً ، أو يقودوا أجيالهم  
الى حياة الرفاهية والشرف والرفعة ، وهل فى الامكان أن تنهض  
حضارة أصيلة حقيقية على أساس هذه الألوان من العفن والانحراف  
والتحلل ؟ ؟

واذا كان هؤلاء المارقون يظنون أن الدول التى سبقتنا فى مجال  
التقدم والعلم والتكنولوجيا ، تتخذ هذا الأسلوب منهجا فى حياتها ،

ودستورا لسلوكها ، فاز ذلك لا يمكن أن يعتبر حجة مقبولة ، لأن الحضارة الغربية تخفى مساوئها وعللها وراء ستار كثيف من التقدم الصناعي ، وقد اعترف مفكروها وفلاسفتها بما يعانيه الفرد من تمزق وحيرة وقلق ، فكثرت بينهم الأمراض النفسية ، والانحرافات الخلقية ، وتمزقت أسمى الأواصر ، وما علينا الا أن نقرأ آدابهم ونطلع على فنونهم ، لنرى النماذج البشرية المحطمة ، والبدع الأخلاقية الغربية ، وذلك كله - باعترافيهم - ايدان بانهيأ قريبا لتلك الحضارة ، ولا شك أن الحروب المدمرة ، والفلسفات الشائنة ، وموجة الخنافس والمخدرات وقضايا القتل الجماعي والشذوذ الجنسي والفصائح المتنوعة ، واستغلال الدول الفقيرة والضعيفة ، واختراع الأسلحة الفتاكة ، وظلم الأقوياء للضعفاء ، لا شك أن هذه الأوبئة كلها هي بداية النهاية للأمم تخفى مساوئها وعللها وراء التقدم الصناعي أو التكنولوجي الظاهري . .

ان حضارة الغرب هي حضارة الظاهر . . لأن العلوم الظاهرية من كيمياء وكهرباء وفسيولوجيا وغيرها ، استطاعت أن تدرس الانسان من خلال أنشطته الظاهرة للعين في المعامل أو تحت الميكروسكوبات ، أو بمختلف وسائل العلم الحديثة ، لكن حضارة الظاهر تلك لم تستطع أن تتعمق باطن الانسان أو داخله ، لم يتيسر لها أن تفهم وجدانه وروحه وأشواقه وفطرته السليمة ، لأن هذا المجال الميتافيزيقي ( أو ما وراء الطبيعة ) هذا المجال الغامض المجهول لا يمكننا أن نستمد معرفتنا عنه الا من خالقه . . من الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي خلق الخلق ، وهو الذي أودع فيهم من الأسرار

والحقائق مالا يعرفه أحد ، ومن ثم فان طبائع الأمور تقتضى أن الخالق وحده هو القادر على صوغ القوانين والخطوط العريضة لمسيرة الانسان فى هذه الحياة . . من هنا كانت رسالات السماء التى تضمنت شريعة الله جل وعلا .

لهذا فان الحضارة الحديثة التى أغفلت هذه الحقيقة قد حادت عن الطريق ، وانصرفت عن المنهج السليم ، وأصابها الغرور بسبب الفتوحات التكنولوجية والعلمية فى مجالات علوم الظاهر ، وظنت أنها قادرة على اختحام علوم الباطن ، وقدمت التافه القليل فيما يسمى بعلم النفس ، والعجيب أن تلك الحضارة قد اعترفت بعجزها وقصورها فى وضع تصور صحيح للانسان فى باطنه ، واذا كان علماء الحضارة قد اتفقوا على القوانين العلمية التى استخلصوها من التجارب والمشاهدة فيما يتعلق بعلوم الظاهر ، اذا كان العلماء قد فعلوا ذلك فانهم قد فشلوا فشلا ذريعا فى الكشف عن النواحي الميتافيزيقية ، ولم يصلوا فيها الا الى بعض الحقائق التى وصل اليها الدين ، ثم اشتطوا فأتوا باستنتاجات خاطئة فى هذا المجال أيضا ، وكان الخطأ الأكبر حينما حاولوا تطبيق تصوراتهم المتهافئة المضطربة فى واقع الحياة . . وهذا كله يعود بنا الى اقرار الحقيقة الواقعة ألا وهى أن الخالق هو الخبير بخلقه ، وأن التصور الدينى لهذا الجانب فى حياة الانسان أقوى التصورات وأصحها . .

اذن فالكائن الحى الذى ربته الحضارة الغربية كائن شائه ناقص ، واقع بين برائن القلق والتمزق والخوف والملل والشطط والانحراف على الرغم من أنه ينعم بالمنجزات المادية والصناعية التى تحققت

له ، لكنه شقى روحا وقلبا ووجدانا .. هذا هو ردنا على أولئك الذين يستشهدون بالتقدم الصناعى على تفوق الحضارة الغربية وسيادتها فى كل مناحى الحياة ..

نعود مرة أخرى الى ظاهرة العداء للاسلامية ، فنقول ان هناك نوعا آخر من العداء يرتبط بطبيعة النفس البشرية ، ألا وهو تشبث كل ذى عقيدة بعقيدته ، وهذا واضح طوال حقب التاريخ ، فاليهودية ترفض النصرانية استمساكا بتراثها القديم ، والنصرانية تكره الاسلامية واليهودية معا فى واقع الأمر ، وكل ذى عقيدة أو دين يدفعه تعصبه وكبرياؤه أحيانا الى محاربة ما يضاد فكره أو يختلف معه ، وهذا نوع من العداء مورث وشائع ، بل أننا نجد مثل هذا العداء بين أصحاب المذاهب المختلفة فى الدين الواحد ، ومنطق العلم يرفض هذا اللون من العداء لأنه يتنافى مع الموضوعية ، ومنطق الدين هو الآخر يرفض ذلك العداء أو التعصب الأعمى ، وكثيرا ما تحمل آيات القرآن الكريم على أولئك المكابرين الذين يحتجون بتبعيتهم لآبائهم وأجدادهم ، ويشيخون بوجوههم عن كل نور جديد يقتحم ظلمات حياتهم : « انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون » (١) .

ان اغلاق العقل عن أى فكر جديد ، ورفضه ابتداء دون فحص أو تمحيص يعتبر ضربا من الجمود والتعصب ، وحينما أعلن الجهاد المقدس فى الاسلام ، لم يكن ذلك الجهاد من أجل غزو أرض ، أو استغلال شعوب ، أو نهب ثروات ، وانما كان لفتح الطريق أمام



شعوب الأرض كي ترى النور وتختار ... لا اكراه فى الدين ، (١) .  
كان الجهاد من أجل هدم أسوار السجون والاكراه والكبت والقهر التى  
ترزح تحتها شعوب الأرض ، ولهذا لم تسمع فى القاريخ عن انسان  
عذبه المسلمون كي يعتنق دينهم ..

هذا النوع من العداء للاسلامية يجب أن نقابله بالمنطق ، بالجدل  
العلمى الموضوعى ..

ولنتناول الآن بعض أعداء الاسلامية بشيء من التوضيح ..

# الصليبية والاستعمار...

بادئ ذي بدء يجب أن نقرر أن الاسلام له نظرته الخاصة الى الأديان والأنبياء في مراحل التاريخ السابقة للدعوة الاسلامية ، وهي نظرة عميقة خالية من أى زيف أو تعصب ، فالأديان السماوية كلها من عند الله . والرسل والأنبياء مكلفون بتبليغ رسالة الاسلام الى البشر « ان الدين عند الله الاسلام » (١) وعدد من آيات القرآن تؤكد هذه الحقيقة ، ولا يكتمل ايمان المسلم الا اذا آمن بالرسل والأنبياء والكتب التى أنزلت قبل الاسلام « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير » (٢) . هذا هو المسلم الذى لم يقع بينه وبين الأديان السابقة خلاف الا حول النقاط التالية .

● **أولا :** التحريفات والزيادات أو النقص الذى أدخله بعض ذوى الهوى والأطماع على الأديان السابقة .

● **ثانيا :** موقف أصحاب الأديان السابقة من محمد صلى الله عليه وسلم ومن رسالته التى جاءت مصححة لما أصاب الديانات السابقة من تحريف وزيف وشك .

● **ثالثا :** موقف أصحاب الديانات السابقة من الاسلام الذى أتى بأشياء جديدة تتفق وفطرة الانسان وطبيعة

(١) آل عمران آية ١٩

(٢) البقرة آية ٢٨٥

الخلائق والآكوان ومن الشرائع المكملة المفصلة  
المهيمنة على الشرائع التي قبلها ، وخاصة فيما  
يتعلق بعموم الرسالة المحمدية وشمولها والحقائق  
الأزلية التي تتفق مع كل زمان ومكان .

● رابعا : قضية التوحيد التي هي لب الأديان كلها ، فقد  
عمدت الأجيال التالية لكل دين الى بث الأوهام  
والأخطاء والخلط في مفهوم التوحيد والآلوهية .

فالذنب اذن ليس ذنب المسلمين فيما استحر من عدا و خلاف بين  
الرسالة المحمدية الصافية الصحيحة وبين غيرها من الرسالات التي  
اكتظت بالانحراف والتخبط والبعد بالتوحيد عن أهدافه السامية ،  
وصورته السليمة . . . ومن هنا دب الصراع ، ونشبت الحروب بين  
الاسلامية وأعدائها ، واستطال أمر هذه الحروب ، وتفشى عبر القرون  
الطويلة ، علما بأن الاسلام يدعو أتباعه الى أسلوب من الدعوة فيه  
الرفق والهوادة واللين ، أسلوب يعتمد على الاقتناع والمنطق « ادع الى  
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن ،  
ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ، وان  
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم بهى ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ،  
واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق  
مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (١) .

---

(١) النحل آيات ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨  
( ٣ - أعداء الاسلامية )

ذلك هو أسلوب الدعوة الإسلامية طوال حقب التاريخ ، ولم يتزعزع هذا الأسلوب أو يضطرب حتى فى الأوقات التى كانت للإسلام فيها سطوة أى سطوة ، حينما انتصروا وسادوا وحكموا حيزا ضخما من العالم المعمور ، وكان بإمكانهم أن يسوقوا الناس سوقا الى حظيرة الاسلام ترهيبا أو ترغيبا ، لم يفعلوا ما فعله الأوربيون حينما انعقدت محاكم التفتيش فى أسبانيا وغيرها ، فأذاقت المسلمين الويل والثبور ، وعظائم الأمور ، فسفكوا الدماء ، وقادوهم قسرا لاعتناق المسيحية ، ولم يفعل المسلمون ما فعله رجال الكنيسة عندما اضطهدوا مخالفينهم فى رأى من المسيحيين أنفسهم ، وحكموا عليهم بالحرق أو قادوهم الى المقصلة ، وتاريخ التعصب الكنسى يعرفه كل من له دراية ولو قليلة بالتاريخ ..

وفى عصور الحروب الصليبية حدث شئ جديد .. ان أوربا تطلعت بعين الطمع والشراسة الى بلاد المسلمين ، حيث الثروات الضخمة والموقع الاستراتيجى الممتاز ، وقد تلونت هذه الأطماع ببريق الأمجاد العسكرية والقومية ، والآخذ بالثأر من الانتصارات الباعرة التى حققتها جيوش المسلمين فى عصر الدعوة الإسلامية الأول ، وقد وجد الملوك والنبلاء والقواد الفرصة سانحة لديهم كى يعقدوا أحلافا غير مقدسة مع رجال الكنيسة ، ومن هنا اشتعلت مشاعر الجماهير المسيحية تعصبا وطمعا ، وانطلقت الجيوش الأوربية تحت شعار الجهاد المقدس ، وظلت هذه الحروب مشتعلة الأوار لأكثر من قرنين من الزمان ، لقد امتزجت أطماع الاستعمار بوجه الجهاد المقدس لدى الأوربيين أملا فى استلاب ثروات المسلمين ، والقضاء على تراثهم

الدينى وعقيدتهم السمحاء ، ورغبة فى فتح آفاق جديدة للتجارة ، وكان ذلك بداية الاستعمار فى العصر الحديث ، وقد عانى المسلمون الكثير من جراء هذه الحروب الطويلة التى استنفدت طاقتهم ، واستنزفت ثرواتهم ، وصرفتهم عن البناء والامتداد السلمى لفترة .. وليس صحيحا ما يقال عن أن هذه الحروب الصليبية قد قامت من أجل تأمين طريق الحج للمسيحيين الى بيت المقدس ، لأن العصابات التى كانت تتعرض للمسافرين أحيانا كانت مجرد انحرافات فردية ، قوامها بعض اللصوص وشذاذ الآفاق ، وكان هناك شبيه لهذه العصابات وقطاع الطرق فى طريق الحج الى مكة أيضا ، وكانت الحكومات فى البلاد الاسلامية تحارب هؤلاء وهؤلاء وتقاومهم وتخضع شوكتهم ، وكان فى الامكان التفاهم بشأنهم بين الدول المعنية ، وإبرام الاتفاقات بشأنهم ..

مرة ثانية أؤكد ما أكدته كثير من المؤرخين من أن التحالف الصليبي الاستعماري لم يكن يقصد وجه الله ، وإنما كان الهدف منه مقاصد دنيوية ، يكمن وراءها الكسب المادى ، وخلق الحركة الاسلامية الصامدة الغالبة التى تقف حجر عثرة فى طريق الأطماع الأوربية والهوس الدينى الأوربي ، وهذا لا ينفى بالطبع أن هناك فئة من المحاربين كانوا يتحركون بدافع القضاء على الاسلام لتمكين للمسيحية هؤلاء المخدوعون ، كانوا يعتقدون أنهم يحاربون فى سبيل الله ، ويريدون نشر المسيحية وسيطرتها ، وليس أدل على خداعهم من أن المسيحية نفسها لا تدعو لهذا اللون من الصراع الدموي الرهيب ، وهذا الظلم الفادح أو التنكيل بالأبرياء ، فرسالة المسيح محبة وسلام

وتفاهم وصفح وغفران ، وهذا شيء لا يختلف عليه اثنان ، ولو أن المسلمين قد أعلنوا التعبئة العامة ، وأرادوا غزو العالم المسيحى فى ذلك الوقت لكان للحروب الصليبية عذر فى أن تشتعل ، أما وأن المسلمين فى تلك الحقبة الزمنية كانوا فى موقف الدفاع عن النفس فان ذلك كله يؤكد ما توصلنا اليه من أن هذه الحروب التى أشعلها الغربيون كانت تحركها الآطماع الاستعمارية ، فاستغلوا التعصب أو الهوس الدينى فى تحقيق أغراضهم أو أهدافهم الخبيثة .

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف وضع الصليبيون والاستعماريون أيديهم فى أيدي اليهود - أعدائهم التقليديين الذين يلعنونهم فى كل صلاة - ويمدّونهم بالمال والسلاح لتدمير العرب والمسلمين ، ويقتطعون جزءا غاليا من أرضنا ويقدمونها قربانا للصهيونية الجامحة ، كى تنفذ لهم مخططاتهم الخبيثة لضرب الاسلام فى عقر داره ، ألم يقل « روستو » مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق « جونسون » فى محاضرة له باحدى الجامعات الأمريكية ، ألم يقل بأن : « اسرائيل هى الامتداد الطبيعى للحضارة المسيحية فى الشرق ، وأن وجودها ضرورى لوقف الزحف الاسلامى الذى هدد أوروبا قرونا عديدة » فوجود اسرائيل ( اليهودية ) امتداد للحضارة ( المسيحية ) . . . وهى فى نفس الوقت ضمان لعدم تكرار الحروب الصليبية . . . هكذا يقولون . . . وهو قول لا يختلف كثيرا عما قاله القائد الانجليزى الذى وقف على قبر صلاح الدين بعد الاحتلال وأعلن فى فخر قائلا :

« الآن انتهت الحروب الصليبية . . »

انه ينظر الى الحرب والاستعمار فى القرن العشرين على أنهما

امتداد للحروب الصليبية .. لكنه يزعم أن الحروب الصليبية قد انتهت .. لا .. ان الحرب الصليبية ما زالت قائمة وممتدة ، مادامت هناك مصالح وأطماع لهم في الشرق ، وما دام هناك طائفة ممن يتصفون بالهوس الدينى والتعصب الأعمى ، وما دام هناك اجماع من أعداء الاسلامية على ملاحقتها وضربها في عقر دارها ، ومحاصرتها حتى لا تنطلق أو تسود فتهدد مطامعهم ومخططاتهم .. وقد اتخذت الحروب الصليبية في عصرنا أسلحة شتى الى جانب التهديد العسكرى ، والعدوان الصهيونى الذى يعتبر مخلصا للأحقاد الاستعمارية والصليبية ، فهناك الغزو الفكرى الذى اتخذ له من أدمغتنا وأفكارنا وعاداتنا وتقاليدينا وسلوكنا ميدانا له .. فأصبح المسلم نفسه ، بعد أن شكلته التربية الغربية ، وأثرت في سلوكه ومنهجه وفكره ، أصبح هذا المسلم هو الجندى الجديد الذى يحارب أمته بأفئك سلاح وأخطره ، ويا ليت قومى يعلمون ..

وهناك نقطة أخرى في غاية الخطورة ..

ألا نلاحظ أن الدعوة الى المسيحية في أوروبا قد تقاعست وانكمشت وفي نفس الوقت نرى الحركات التبشيرية ، خارج أوروبا ، قد انتعشت . ورصدت لها الحكومات الامكانيات الضخمة في آسيا وأفريقيا بالذات ؟؟ ان المبشرين هم طليعة القوات الغازية المستعمرة ، والمبشرون هم الطابور الخامس الذى لعب أخطر الأدوار في الصراعات الدامية على أرض هاتين القارتين ، فقد ثبت بالدليل القاطع أنهم اشتركوا في التخطيط لكثير من المؤامرات والانقلابات والحروب الأهلية ، وساهموا في اعداد جيوش المرتزقة ، وقبض على الكثيرين

منهم وأدينوا وحكم عليهم بالاعدام أو السجن أو الطرد ، حدث ذلك في السودان وأوغندا وغيرهما ، ولقد كانت مدارس المبشرين ومستشفياتهم وأماكن العبادة الخاصة بهم هي معامل التفريخ لتخريج المنحرفين والخونة والمتعصبين ، وبعض هؤلاء وصل الى مراكز القمة في كثير من البلدان ، وتركوا بصماتهم على أجهزة الحكم ، وأثروا أيما تأثير في مجريات الأمور بتلك البلاد . وقد أزيح الستار عن كثير من المخططات الرهيبة التي وضعتها المؤتمرات التبشيرية ، ونشرت بعض الوثائق الهامة بهذا الصدد ، وأصبح واضحا أن ضرب الحركات الإسلامية ، التي حاولت النهوض بالاسلام في العصر الحديث ، في كثير من البلدان الإسلامية ، كان ضرب هذه الحركات بتحريض أو بوحى من سدنة الحلف الشيطاني بين الصليبية والاستعمار ، بعد أن تنبّهت هذه الحركات لما يحاك ضد الاسلام من مؤامرات وتخطيطات جهنمية فتصدت لها كي تحدد من خطرها ، وتمنع المسلمين من شرورها ، وتحمي الأمة من الفناء والدمار .

الأمر واضح لا يحتاج الى تفصيل أو تحليل ، لكن المشكلة أننا كمسلمين ، ولم نزل نغط في نوم عميق ، ونستبعد أن تكون الأمور على هذه الصورة من الخبث والدهاء ، وكلما قلنا هذا الكلام رد المخدوعون قائلين بأننا نعلق أخطاءنا وتخلفنا على مشجب الاستعمار والصليبية ، ويا ويلنا ان بقينا على هذه الحال من السذاجة أو حسن النية ..

لقد أدخلت أوروبا في روعنا أن التمسك بالدين هو القلief ، وأن



التصدي للصليبية المخادعة الطامعة هو التعصب بعينه ، وأن رفض البدع الحضارية المدمرة لأخلاقنا وقيمنا هو محاربة للتقدم والمدنية . وأن الحفاظ على مكونات شخصيتنا الاسلامية وتراثنا الحضارى هو الرجعية واهدار المقيم الانسانية ، وأوهمتنا أننا فى مرحلة الطفولة أو المراهقة ولا نقدر الحرية قدرها ، ومن ثم فلا بد أن نعيش فى ظل التبعية والانتماء للقوى الكبرى ، واستغلت جهلنا وسذاجتنا وانحراف المفكرين فينا ، فاستولت على مقاليد أمورنا ، ونزحت ثرواتنا وخاصة بتروولنا ومعادننا ، وأقامت على أشلائنا وتعاستنا وعذابنا حضارتها الصناعية الجبارة ، لقد أخذت أوروبا علومنا ومعارفنا ، وجعلتها أساسا لتفوقها العلمى والتكنولوجيا ثم رمتنا بالجهل والتخلف ، كانت تترجم تراث أجدادنا ومناهجهم فى البحث والفلسفة والعلوم الرياضية والطب وغيرها الى لغاتهم ، ثم يتفوقون علينا ويزعمون أنهم أساتذة الأجيال ، مع أن تراثنا هو أساتذهم الأكبر ، بل ان الكثير من تشريعاتنا الاسلامية قد اقتنصوها وأخذوا منها وزادوا فيها أو أنقصوا منها ، وجعلوا الكثير منها أسلوبا لهم فى بعض مناحى حياتهم ثم نسبوها الى علمائهم ومفكريهم . . . وهذا شيء لا نعيبه عليهم ولكننا ننكر منهم رمى تراثنا بالتخلف ، ومحاربة اسلاميتنا التى كانت سببا فى سيادة حضارتنا ، كما كانت أساسا لنهضتهم فى أوروبا ، وهذا دليل آخر على ما تشتمل عليه اسلاميتنا من بذور صالحة للنمو والعطاء .

كثيرون من مفكرى الغرب قد أكدوا تلك الحقائق التاريخية ، ودعموها بالأدلة الدامغة والوثائق والبراهين ، فلنقرأ « كتاب حضارة

العرب تشرق على الغرب » ولنقرأ كتاب « الانسان ذلك المجهول »  
ولنقرأ ما كتبوه عن ابن سينا والبيروني والفارابي وابن رشد وابن  
النفيس وابن الهيثم وجابر بن حيان والادريسي وابن بطوطة  
وابن خلدون والغزالي وغيرهم ، فكيف نتقاعس ونتكاسل ونحن نملك  
البذرة الطيبة ، والتربة الصالحة ، والثروات الضخمة ، والقوى  
البشرية الهائلة ، والأرض الشاسعة ، والمواقع الرائعة ، والأنهار  
الفياضة ، وشواطئ البحار ، والتاريخ الرائع ، والمواهب الفذة ،  
والتراث الاسلامي الخالد ؟ ماذا بقى من مؤهلات التقدم والتطور  
والنجاح حتى نخطو الخطوة التاريخية الحاسمة التى تعيد الحق الى  
نصابه ، وتضع مقاليد الأمور فى الأيدى الآمنة الطاهرة التى تستطيع  
أن تنهض بالعالم من كبوته ، وتحقق السعادة والرخاء لبنى البشر ؟؟  
نعود فنقول ان الأعداء يخافون على مصالحهم أكثر مما يخافون  
على دينهم .. وأن عداءهم للاسلامية أكثر بكثير من حبهم لدينهم ..  
وأن تعاطفهم مع الصهيونية ليس هياما وعشقا لمبادئها ، وإنما  
أملا فى ضرب القوى الاسلامية ، وتخلصا من مشاكل الصهيونية  
وخبثها ونواياها السيئة الغادرة ، ومشاركتها للشيعوية فى ضرب  
المسلمين وبث الخلاف والشقاق بينهم لا من أجل سواد عيون  
الماركسية ، ولكنه نابع من حقد صليبي قديم يدفعهم الى الرغبة فى  
اقتسام الغنائم لدينا ، والأخذ بنصيب من ميراث الاسلام والمسلمين ،  
وليست « سياسة الوفاق » المزعومة بين الكتلة الشيوعية وأمريكا  
الا ستارا يخفى وراءه الحقيقة المرة ألا وهى سياسة « تقسيم مناطق  
النفوذ » سواء أكننا ندري أو لا ندري ، فالكفر ملة واحدة ..

وهناك لعبة أخرى دأب الاستعمار الصليبي أو الصليبية المستعمرة على القيام بها ، وهى اثاره الفتن بين الدول العربية والاسلامية وتمزيقها وتقسيمها ، نرى ذلك واضحا فى مشاكل الحدود التى لا يكاد شعب من الشعوب الاسلامية الا ويعانى منها ، وما حدث الصدام بين الهند وباكستان ببعيد ، وهناك التقسيم الذى حدث فى باكستان ثم انفصال مصر والسودان ، والحرب الأهلية فى لبنان ، والأزمة المستحكمة بين اليونان وتركيا ، والخلافات فى الحدود بين الامارات فى الدولة الواحدة ، وخلافات فى المغرب العربى والمشرق العربى ، ثم ليس عجيبا أن تعاني الأقليات الاسلامية الأمرين دائما فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى سواء فى الهند أو الفلبين ، وما حدث من مجازر فى تيجيريا وأثيوبيا وأندونيسيا وغيرها لا كبر دليل على التخطيط التبشيرى والاستعمارى فى تلك المناطق ، وأحيانا يخلق الاعلام الغربى الأزمات المفتعلة بين الدول الاسلامية ، فتتحول الظنون والشائعات الى صدام مسلح وحروب عسكرية واعلامية ، تضيع فيها الدول الاسلامية طاقاتها هدرًا ، وتؤخر عملية النمو والتطور ، وبذلك تظل تلحق جراحها ، وتؤثر أضرارها ، وتبدد طاقاتها فيما يضر ولا ينفع ، ان مثل هذه الخلافات يجب أن تسوى وتوضع لها الحلول السريعة الحاسمة بروحى من الأخوة التى تربط بيننا ، وبدافع أننا أمة واحدة متأزرة تظلها راية واحدة راية الاسلام ، ولن نستطيع أن نحشد قوانا الاسلامية فى مواجهة العدوان الاستعمارى الصليبي ، وفى مواجهة التخلف الحضارى الا اذا أدركنا هذه الحقائق مجتمعة ، وفهمنا من يقومون بتحريك الحزازات والخلافات ، ويبذرون بذور الشقاق والخلاف بين ظهرانينا ، ولا شك أن الاستعانة بالفرقة

الاسلامية أقوى وأجدى من إثارة النزعات العنصرية أو الوطنية الضيقة ..

تلك الأمور يجب أن يعيها جيدا شبابنا المثقف ، وقادة الفكر والفن والرأى فى بلادنا ، ويجب أن يتعمقها الدعاة الى الاسلام فى عالمنا المعاصر ، وقد يقول قائل ان مشاكل الحياة اليومية ، وما تعانيه شعوبنا من فقر وتخلف ، أجدر بالنظر والاهتمام من المشاكل السياسية الكبرى ، والواقع ان الداء كل لا يتجزأ سواء أصاب القلب أو الكبد أو الرأس ، والعلاج الحاسم يحتاج الى دواء شامل ، يجتث الداء من جذوره ويقضى على الميكروب ، فنحن كالجسد الواحد سوف تظل شكوأنا قائمة ، ونظل ندألم حتى ولو كانت هناك بثرة صغيرة متقشرة فى أنملة من الأنامل ، أو فى حيز صغير فى جسمنا ..

فلو تصورنا كيف أن عدونا يفكر عندما ينتج سلعة من السلع ويعمل على الترويج لها وتسويقها لوجدنا عجا ، انه يجرى الدراسات والتجارب ، ويعرف أمزجة الجماهير واحتياجاتهم ، ويعرف كيف يؤثر فيهم ، ويجعلهم يقبلون على سلعته ، انه يدرس نفسية الأفراد وطبيعة المجتمع ، ويفهم عن كثب كل احتياجاته ، ثم يقدم فى النهاية سلعته فى ثوب قشيب ، ويملا الدنيا ضجيجا واعلاما واعيا خبيثا عنها ، فنشعر أننا نراها فى الصحف والاذاعات والتلفزيونات وفى دور السينما ، وفى ملاعب كرة القدم ، وعلى الحيطان وفى اللافتات الملونة ، وفى كل مكان وزمان نسمع عن ذلك السلعة ونعرف عنها أكثر من الحقيقة ..

ذلك هو دأب العدو اللدود فى كل تخطيطاته وأسواقه ، وهو يطبق نفس الأسلوب بالنسبة لكل فنونه وأفكاره وسياساته ، انه يقلب الحق باطلا ، ويجعل من الباطل حقا ، فالمجاهدون الذين يطالبون بحريتهم واستقلالهم يعتبرون فى نظره مجموعة من الارهابيين والعصابات والخونة ، أما المستغلون المغتصبون فهم أبرياء شرفاء ، وأصحاب الحق ، ودعاة مدنية وحضارة ، ألا يحدث ذلك بالنسبة لناضلى حركة تحرير فلسطين ؟ ؟ ألا تلصق هذه التهم بكل الثوار الشرفاء فى كل أنحاء العالم ؟ ؟ حتى وكالات الأنباء العالمية لا تنقل من الأخبار والتحليلات الاخبارية الا ما يتفق ومصالح أعداء الاسلامية ، كى يكتموا صوت الحق ، ويلوث شرف المخلصين الأمناء ، ويكيل المديح والتبجيل للخونة والمارقين والمستبدين عملاء الصليبية المستعمرة . .

نحن فى عالم كثر فيه الزيف والتزييف والقرويج للأباطيل ، ولن نستطيع أن نتصدى لهذا الركam الهائل من المفسد والحقء الا بأسلوب التربية الصحيحة ، والعلم الصادق ، وحشد الامكانيات المادية والمعنوية ، والتسلح بالوعى الشامل الحقيقى ، واتخاذ الأهبة لكل ما يجد ، ولا بد من أن ننتج الآلة والسلاح ، فلا يمكن أن نكسب معركة ونحن نحارب العدو بسلاح نشترية نت ، ولا يصح أن يزعم زاعم أننا لا نستطيع ذلك ، فان لدينا من المال والثروات والمواد الخام ما لو أحسن استخدامه وتوجيهه لفعلنا المعجزات ، ان آلاف الملايين من الدولارات التى يملكها العرب ، وخاصة دول البترول والدول المنتجة للمواد الخام ، تستطيع أن تغتزم الفرصة فى هذا العصر ،

وتحقق القوة المادية ، بالإضافة الى القوة المعنوية ، كى يسير الاثنان فى خط متواز وعندئذ نكون قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الآمال . وعلى شبابنا أن يعى ذلك جيدا ، لأن الفرصة المتاحة اليوم على حد تعبير أحد الكتاب لن تتوفر لنا مرة أخرى قبل قرون قد تطول . .

وأعداء الاسلامية على يقين من ذلك ، ومن ثم فهم يضعون العراقيل فى مسيرتنا ، ويضعون التعويقات المختلفة كى يعطلوا نمونا ونهوضنا من كبوتنا ، ويعملون جاهدين ليصرفونا عن منابع الايمان والصفاء والوحدة والقوة ؛ لأنهم يؤمنون أن فى انتصارنا فناء لهم ، وفى تقدمنا تقهقرا لنفوذهم وسلطانهم ، فالدجاجة التى تبيض الذهب يجب أن تحيا مهیضة الجناح واهنة ضعيفة حتى تظل تعطى الذهب . .

ان أعداءنا دائبون على دراسة كل ما يصدر عنا من فكر وفن ، ويتناولونه بالدراسة والتمحيص ، حتى يستخلصوا اتجاهاتنا وتحركاتنا ولا يكفون عن ملاحقة تجمعاتنا السياسية والفكرية كى يعرفوا ماهيتها وفحواها ، فان كانت تسير فى الخط الذى يخدم مصالحهم ومخططاتهم ، شجعوها وصفقوا لها ، وان كانت تدعو الى الصحوة الاسلامية ، دعوة الخلاص والحرية والانطلاق ، انصبت سهام حقدهم وكيدهم عليها ، وحاولوا خنقها فى المهد قبل أن تنمو وتترعرع ، وهناك آلاف الشواهد على هذا السلوك العدائى المسموم ، فكم من شخصيات فذة فى عالم الاسلام ناشتها حراهم ورماحهم المسمومة ، فأثاروا حولها الشبهات ، ورموها بالتهم جذافا ، وهى من كل ذلك براء ، واذا استعصى عليهم هدمها ، لجأوا الى التصفية

الجسدية عن طريق الاغتيال ، وكثيرا ما كان هذا الاغتيال عن طريق عملاء لهم من بيننا بوحى من تدبيرهم الخبيث . .

ترى متى نفيق من غفوتنا ، ونحرك الحقيقة العظمى وهى أننا مسلمون ، نؤمن بالله واحد وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبكتابنا الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تلك حقيقة بسيطة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وهى كفيلة بأن تنتشلنا من الهوة التى تردينا فيها ، وتخلصنا من الانهيار والعفن والتمزق الذى شل حركتنا ، ولا يهم بعد ذلك أن تتعدد المذاهب ، وتختلف الآراء ، فالأصل لا خلاف عليه ، وهو جماع الخير كله ، فليحكمنا من يشاء ما دام دستور كتاب الله وسنة نبيه ولا ضير أن يكون من أية أسرة من الأسر ، أو متناسلا من هذا أو ذاك . . فالاسلامية أوسع وأعمق من تصارعات اللون أو الجنس أو الشعبوية أو المذهبية ، هى الأم الحنون لكل التيارات الفكرية المختلفة ، التى تؤمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، وبكتاب الله شريعة ومنهاجا . .

أما أعداؤنا فقد جعلوا من المذهبية تدينا آخر . . مع أن كلها تنبع من دين الله . . وجعلوا من أئمة الفكر والمذاهب متعادين متناحرين فى البلد الواحد ، وتحت ظل الدين الواحد ، أية حماقة نصبتها شركاء الأعداء فسقط فيها رجالنا الضيقو الأفق الذين أعمتهم الأهواء ومظاهر الحياة الزائفة عن ادراك الحق الذى لا يتجزأ ! !

نرى .. هل يستطيع شبابنا ومفكرونا — على مختلف أفكارهم  
وميولهم — أن يعيدوا النظر في الموقف .. وأن يتخذوا منهاجاً جديداً  
لمواجهة الزحف الأسود الرهيب الذى يريد القضاء على تراثهم  
وحاضرهم ومستقبلهم ! ..



# الصهيونية...

## دين . وسياسة . وفكر . وفن

لقد تحولت اليهودية الى الصهيونية ، واذا كانت اليهودية دينا سماويا فان الصهيونية ليست مجرد حركة سياسية ، وانما هي دين أرضى صنعه اليهود ، هي اختراع جديد قام على أنقاض اليهودية ، ثم اكتسب صورة دينية سياسية فكرية ، لم يكتف اليهود بما أقدموا عليه من تحريف وتغيير فى كلمات التوراة ، بل انهم فى كل عصر يضيفون جديدا يتفق ومصالحهم وفلسفتهم المتعصبة التى تعادى كل ما هو انسانى ، وتتنافى مع الضمير الحى ، وترفض الانصاف والعدل ، فهم أساتذة فلسفة «الغاية تبرر الوسيلة» نعم «ميكافيليون» قبل أن تولد الميكافيلية ..

وقضتهم مع المسيح والمسيحية قصة معروفة ، تنضح بالحق والقدرة والمكيدة ، وتاريخهم مع محمد صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين فى فجر الدعوة الاسلامية ملئ بالغدر والخيانة والكذب والنفاق ، ومن منا لا يعرف أنهم نقضوا العهود ، وتحالفوا مع المشركين ، بل زعموا للمشركين أن دينهم - أى عبادة الأصنام - أصح وأفضل من دين الاسلام ، وكانوا هم البادئين فى بذر بذور الفتنة والشقاق بين أفراد وفئات المجتمع المسلم الجديد ، بما أشاعوه من فتن ، وما اخترعوه من روايات وأحاديث نبوية ، وهم الذين فتحو

باب الطائفية والشعبوية ، وكثيرا ما حاولوا افساد أداة الحكم ، وتآليب الجماهير ، واثارة الحروب ، وتكوين الجمعيات السرية . ونشر الفسق والفجور والانحراف فى كل مجتمع عاشوا فيه ، ولقد ابتلوا من جراء ذلك بالضربات القاسمة ، والعقوبات الصارمة ، فتكرر طردهم من مختلف البلدان بعد أن أدينوا بعدد من التهم وارتكاب المؤامرات التى أفسدت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، ولذا نراهم أعدى أعداء الإسلاميه ، وأشد خصومها عنفا وخطورة .

ان أى قارئ لتراثهم ، وأى مطلع على « بروتوكولات حكماء صهيون » يدرك عن يقين أنهم هم الذين انحرفوا وعاشوا فى الأرض فسادا واضطرابا ، وبعد أن تكونت لهم دولة فى فلسطين بالمكيدة والخداع ، اتضحت مطامعهم أكثر ، وتبدت شراحتهم فى كل جانب من جوانب فكرهم وقيمهم وفنونهم ، نراهم يتحدثون عن السلام وهم يعدون العدة للحرب ، ويتغنون بالعدل ، وهم منغمسون فى المظالم ، ويدعون للتسامح والحب والتصالح ، وهم صورة صادقة لأبشع ألوان التعصب والكراهية والخصام . . . لقد وصل بهم الحقن الى أن يزوروا كلام الله ، ويطبّعوا نسخة من القرآن مليئة بالتحريف والتبديل ، تلك هى صفات وطباع « خراف بنى اسرائيل الضالة » على حسب تعبير المسيح الذى حاولوا صلبه ، وضرب دعوته السمحاء .

ان عداءهم للإسلاميه قديم ، بل ان عداءهم لجميع الأديان الأخرى لا يحتاج الى أدلة أو براهين ، فتراثهم القديم والحديث يغص بالنصوص التى تؤكد ذلك ، وليس غريبا أن ينالوا العقاب من الله

على أيدي عباده في الجزيرة العربية قديما ، ثم في بلدان ألمانيا خاصة وأوروبا عامة ، وفي روسيا وغيرها من أقطار الأرض ..

لقد نشروا الكثير من مبادئهم وفلسفاتهم المريضة في كل الدنيا ، وجرفوا الشباب والمفكرين والفنانين الى الهاوية ، لقد مهدوا للماركسية وروجوا لها ، باعتبارها فلسفة تهدم الأديان الأخرى ، وتثير الأحقاد بين الطبقات ، وتتخذ التصفية الدموية منها لها في حسم أمور الخلاف الفكري ، والنزاع العقائدي ، ومكنوا للوجودية على أساس أنها تمجد النزعة الفردية المتحللة من كل قيمة تربط الإنسان بخالقه ومن كل عقيدة تدعو للصفاء والمحبة والايثار بين البشر ، وكانوا وراء بدع الخنافس والهيبيز وغيرها مما أثر على أخلاقيات الشباب العالمي ودورهم الايجابي في البناء والنهوض والتقدم ، وفلسفوا انحراف المرأة وشططها ، ومكنوا لانحرافها ، فانتشرت الاباحية الجنسية والشذوذ ، وضمرت معاني الوفاق العائلي والأسري ، غتمزقت أواصر المجتمع ، وشقى الناس شقاء مريرا برغم التفوق التكنولوجي والمادي ، وكان من جراء ذلك أن مهدوا لظهور جيل من علماء النفس والاقتصاد والسياسة والاجتماع يهدمون أكثر مما يبنون ، فكانوا أفكك بالانسان وحضارته من القنابل الذرية والهيدروجينية ، وكان أن ساطوا الأضواء على نخبة من المفكرين والفنانين ، وفتحوا لهم باب الشهرة والذيع ، فمشى وراءهم خلق كثير في كل أطراف الأرض ، وبذلك لم ينج من شرهم قطر من الأقطار ، وربما استقطعوا الوصول لكل بيت من البيوت ، لقد سيطروا ( ٤ - أعداء الاسلامية )

على أجهزة الاعلام مباشرة أو عن طريق عملائهم .. اندسوا في  
السينما والمسرح والآداب والفنون ، وامتدت أصابعهم الى محافل  
الحكم والسياسة ، نراهم في البيت الأبيض الأمريكى في مواقع  
التفكير والتأثير ، وتوغلوا في الحياة الاقتصادية وأصبحوا يسيطرون  
على العديد من المؤسسات الصناعية ورؤوس الأموال ، ومن ثم  
أصبحوا يملكون زمام الاقتصاد والسياسة والصناعة والفكر والفن ..  
وصبغوا كل ذلك بفلسفتهم السوداء أفرادا وجماعات .. ولهذا فهم  
كانوا وراء معظم موجات الخراب والدمار التى اكتسحت العالم قديما  
وحديثا ، وبطبيعة الحال لم يكونوا قادرين على فعل ذلك لو لم  
يتخذوا من السذج والبلهاء مخالبلهم يستترون وراءهم ، ويدفعونهم  
دفعاً لتنفيذ مخططاتهم الجهنمية .. لقد اتخذوا من المحافل الماسونية  
وأندية الروتارى واليانصيب وأندية القمار والفن سوقا رائجة  
لترويج بضاعتهم ، وبث أفكارهم وسلوكهم ، وهم قبل هذا وذاك تد  
« حصنوا » أنفسهم ضد تلك المفاصد والأوبئة ، حتى يبيد العالم  
ويبقوا هم في مراكز النفوذ والسيطرة ، ألم تقرر كتبهم وتعاليمهم  
وتراثهم العتيق أن لهم الحق فى أن يحكموا العالم ، وأن غيرهم من  
« الأميين » ليسوا سوى خدم وأدوات لهم ، يستعملونهم فى تحقيق  
أغراضهم الخبيثة ومطامعهم الدنيئة ؟ ؟ أليس لهم الحق فى قتل من  
شاءوا ، ونهب أموال من شاءوا ، وأن يقتل أطباءهم المرضى من غير  
اليهود ، ولهم أن يخونوا ويغدروا ويسفكوا الدماء ويسرقوا ، ما دام  
ذلك يعود بالنفع عليهم ويحقق المصلحة لهم ؟ ؟ أليست هذه التعليمات  
كلها مكتوبة فى « تلمودهم » ؟ ؟

ان الصهيونية أسلوب خسيس فى الفكر والفن والسلوك والسياسة .. هى الدين الجديد الذى صنعه الصهاينة على أنقاض اليهودية القديمة ، هى جماع الشر والفتنة والمقت لكل من عداهم ، هى الاستغلال البشع والغدر وتزييف الحقائق ونشر كل ما يحط من قدر الانسان وكرامته وكبريائه وأصالته ..

انهم يجرون العالم كله الى لون من « الهستيريا » الجامحة ، ثم يقفون متفرجين ليجنوا الثمار الملوثة بدماء الأبرياء والمخدوعين والمساكين .. هل يمكن أن يكون ما يحدث الآن مجرد صدفة ؟ ؟

اذ كيف نرى اليهودى فى كل مكان من أنحاء الأرض مرتبط بالصهيونية قلبا وقالبا ، وهم يلتقون على سياسة واحدة ، وفى نفس الوقت نرى العرب والمسلمين متناحرين ممزقين متعادين ، وقد تفرقوا أيدي سبأ ؟ ؟ هل يمكن أن يكون ذلك كله صدفة ؟ ؟

وهل نعتقد أن موجات الفن المنحرف السائدة ، التى جرفت أجيالنا الى متاهات بعيدة عن منابع ديننا ، هل نعتقد أن هذا مجرد صدفة ؟ ؟ وهل فى الامكان أن نتصور تلك الحملات الاعلامية والحروب الكلامية وغير الكلامية بين بعض رؤساء دولنا جاءت صدفة ؟ .. وهل خروج نسائنا على هذا النحو من التبرج والزينة وفوضى العلاقات بين النساء والرجال ، واهدار الأموال فى المشروبات والأزياء والعبث الرخيص ، هل كل ذلك ضرب من الصدف التى جاءت جزافا ؟ ؟

ثم ما معنى تلك الاطراءات والثناء والتبجيل الذى يكال لفئة من ذوى البطش والطغيان الذين يتخذون العنف والتفكيك والارهاب

وسيلة لحكم الشعوب ، ويبعدون ثروات بلادهم ، ويهدرون طاقاتها ،  
ويمكنون للفساد والرشوة والانحراف ؟ ؟

وما معنى أن نجد شئة من المفكرين والكتاب والفنانين يدوسون  
أعلى القيم وأروعها ، وينشرون بالاباحية والتحلل ، ويغرون السفهاء  
بالأمجاد الروحية ، والتراث العريق ، وينقلون العقول الى جنة موهومة  
من الخدر أو الغيبوبة الملوثة ، فيقع الناس فى متاهات الحيرة  
والتخبط والضلال ، فتتفرق بهم السبل ، وتتباعد بينهم المسافات ،  
 ويبقى كل كائن حى فى جزيرة مهجورة ، فنكون كالمنبت الذى  
لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى . . ما معنى ذلك كله ؟ ؟ وما تفسير  
ذلك الموقف الذى يقفه المخدوعون من السياسيين والمفكرين ازاء كل  
شخصية مخلصه ترى الحقيقة ، وتحاول انقاذ الموقف ، وفتح الطريق  
أمام الكلمة البناء والعمل البناء ، وسرعان ما تتكفل القوى والجنود  
لضرب هذه الشخصية وتعويقها ورميها بكل نقيصة ورذيلة ،  
واختراع الأكاذيب والافتراءات ورميها بها . . ما تفسير ذلك كله ؟ ؟

أريد أن أقول ان وراء ذلك كله أولا غفلة منا عما يدور حولنا من  
حقائق وتحركات ، ثانيا : وجود مخطط صهيونى رهيب تتأزرع  
القوى الاستعمارية الصليبية ، ثالثا : ترابط كل القوى المعادية  
للإسلامية ، بدافع المصلحة ، لحصر الاسلام وتخزيده شوكرته ،  
ومنعه من الانطلاق وتأدية الرسالة المنوط به ، وليس هذا التصور  
مجرد وهم أو خيال ، ولكنه واقع تاريخى وواقع معاصر ، فراء  
ونلمسه كل يوم رآه ولمسه أبائنا من قبل ، والجهل لا يعفى من  
المسؤولية ، وقد سبق وشرحنا ما قال مستشار الرئيس الأمريكى

الأسبق « جونسون » فى احدى الجامعات الأمريكية ، حينما حدد نظرتة الى الصراع القائم بين العرب واسرائيل واعتباره أن اسرائيل امتداد للحضارة المسيحية فى الشرق ..

ان الصهيونية هى بمثابة نواة الخلية الآكلة التى تتطلع لالتهام الاسلام والمسلمين .. هى حجر الزاوية ، بل هى المحرض والنائم على متابعة تنفيذ المخطط المدمر ، واذا كانت اسرائيل تتقف درجة بالسلاح من أخصص قدمها الى قمة رأسها ، فى قلب العالم العربى ، فيجب أن نتذكر أن هذا السلاح .. ورغيف الخبز .. وكل مقومات الحياة تأتيتها من هناك .. من الحلفاء الطبيعيين لإسرائيل .. من ممثلى الاستعمار الصليبي ، ولن تخدم جذوة ذلك العداء للاسلامية فى أى يوم من الأيام ، سيبطل ذلك العداء قائما ، مهما عقدت اتفاقيات سلام ، ومهما أقيمت أحلاف ومعاهدات صداقة ، ومهما تناقلت الصحف ووكالات الأنباء التصريحات التى تفيض بالحب والتعاون والصداقة .

يجب أن نصل لهذه الحقيقة المؤكدة ، ونتصرف على ضوءها ، ونرسم سياستنا وخططنا وفى أذهاننا أسوأ الاحتمالات ، ولقد تعمدت فيما أسلفت أن أجعل غفلتنا هى العامل الأول قبل الصهيونية ، حتى أضع المسئولية الكبرى على عاتق أجيالنا ، فنحن لا نستطيع أن نصد عدوانا ، أو نخوض حربا ضد غاز لنا ، أو نكسب معركة الا اذا نهضنا من تلك الغفلة ، وعرفنا ما يدور من حولنا والمراد بنا ، والقوى العديدة التى تتآزر وتتجمع لضربنا ، والأساليب المتنوعة - الخفية أو الظاهرة - التى يتبعها العدو لهدم ارادتنا ، وتوهين عرانا ، والنيل منا ، على الرغم من اننا أمة لها طاقاتها البشرية والمادية

الكافية ، وفي الامكان أن نحمل تراثنا وأرضنا وقيمنا وأن يكون لنا  
المكانة اللائقة بنا في هذا العالم ..

ترى متى تشفى شعوبنا من هذه الغفلة ؟ ؟

وهناك أمر هام يجب الالتفات اليه جيدا ، اذ كيف استطاعت  
الصهيونية الوصول الى أهدافها المدمرة ؟ ؟ ان الحقد وحده ، وكذلك  
النوايا السيئة وحدها غير قادرة على الأخذ بين الصهبنى الى الهدف  
الذى يرسمه لنفسه ، ولسنا من السذاجة بحيث نزن ذلك الظن فيخيل  
الينا أن الرغبة - مجرد الرغبة - توصل الانسان الى الأمل المنشود ..  
ان كون الصهيونية عدوا لحدودنا لا يعنى أن نتجاهل الحقيقة ..  
تلك الحقيقة التى تؤكد أن العدو قد اتخذ للأمر أهبتة ، وتجهز للمعركة  
التجهيز الكامل بالكوادر الفنية والأدوات الضرورية ، فلن نكسب  
معركة بغير سلاح ورجال وخطة وعقيدة .. لقد استطاعت الصهيونية  
أن تتيح الفرصة لرجالها كي يتعلموا ، وأن يزودوا أنفسهم  
بالامكانيات العلمية الواسعة من تعليم ودراسة وتدريب وتجارب ،  
فحصلوا من العلوم العصرية أقصى ما يستطيعون ، ومن هنا ينبغ  
فيهم علماء فى شتى الفروع ، بل ظهر منهم رواد وقادة فى بعض تلك  
العلوم ، فأصبح للعالم الصهيونى فى حد ذاته قيمة ومكانة ،  
وأمكنه أن يكون ذا تأثير ووزن فى مجال العلم والتكنولوجيا ،  
وكثيرون منهم تفرغوا تفرغا تاما للجانب الذى برعوا فيه  
أو تخصصوا له ، نرى منهم علماء فى الذرة وتطوير السلاح الحربى وفى  
العلوم الطبيعية والفلسفية والاقتصادية وفى علوم الادارة والسياسة،  
ومن ثم لم تكن حروبهم حروبا تقليدية تعتمد على الشجاعة الفردية ،  
والقوة الجسدية ، وانما كانت حروبهم من قبل ومن بعد حربا فكرية



ذات مكر ودهاء ، ومن ثم وجدوا من يستمع لهم ، وينصت لآرائهم ، وعاملوا العالم معاملة تبادل المصلحة أو المنفعة ، وهى اللغة التى تفهمها حضارة المادة أو حضارة الظاهر ، وهناك فرق كبير بين من يبدد أمواله فى شراء السلع الاستهلاكية الكمالية ، وينفق على ملذاته ببذخ و بين من يوظف أمواله فى مجالات الانتاج والاستثمار والصناعة ، فالأول لا يجد لنفسه رصيذا سوى المتعة العاجلة الزائفة ، والثانى يقوى ويثرى وتتشبع رقعة نفوذه واستثماراته ، وذلك كله يهيم له من اسباب السيطرة والتأثير مالا يقيسر للآخر . . . ولهذا وجدنا من يعلن أن معركتنا مع العدو معركة علم وتكنولوجيا ، ولكى نستطيع مواجهة ذلك العدو لا بد لنا من أن نتقدم فى مجال العلم والتكنولوجيا ، ولقد أسلفنا وقلنا ان آلاف الملايين من الدولارات والدخول الكبيرة التى نجنيها من البترول والمواد الخام والثروات المختلفة ، كفيلاء بأن تحقق لنا الكثير فى مجال الصراع مع العدو ، لأن ذلك العدو يستفيد من أموالنا هذه ، وهى فى بنوكه ويستثمرها فى التصنيع والتجارة وتطوير التكنولوجيا ، والتقدم العلمى الذى يعتبر سلاحه الأول فى صراعه معنا . .

وعقيدتنا السمحاء فى حاجة الى حمايتها بالعلم وأدواته ومنجزاته الحديثة . . فاذا كنا بالأمس نحمل حوزتنا بالسيوف والرماح ، ونفتح الطريق أمام دعوة الحرية والحب والاخاء بهذه الاسلحة التقليدية ، فان تطور الزمن يقتضينا أن نعد أنفسنا الاستعداد الحديث للمعارك الحديثة طبقا لمقتضيات العصر الذى نعيشه ، ولن يحدث ذلك الا اذا كان لدينا جيل من العلماء المحدثين .

وتحت ايديهم الامكانيات اللازمة لتطوير الصناعات والمساهمة في التطور التكنولوجي ..

وهذا يقتضى منا الدعوة الى حركة تجميع كبرى ، فلنسمها وحدة أو اتحادا أو أى شىء آخر ، المهم أن تتكاتف القوى ، وتتآزر الجهود ، ونحقق نوعا من التضامن أو التكامل الاقتصادى ، ولونا من ألوان الوحدة الفكرية أو السياسية والعسكرية ، وبذلك تصبح ثرواتنا فى خدمة الفرد والمجتمع ، أعنى فى خدمة الدعوة الاسلامية التى نحيا بحياتها ، ونفنى بفنائها ، وننتصر بانتصارها ، ونسعد جميعا بسيادتها على مقدراتنا وسلوكنا وأفكارنا .. وصدق من قال : « ما قصرت المنى ولكن قصر المتمنى » ..

الشىء الآخر هو أن الصهيونية جعلت هدفها فوق كل اعتبار ، فوق الأهواء الفردية ، أو التناحرات الطائفية ، أو الخلافات فى الرأى ، انهم يختلفون كثيرا ، لكن على أسس من المنطق ، ويجعلون من أهدافهم ومخططاتهم نقط التقاء واتفاق لا خلاف عليها ، لهذا فهم ينطلقون من كل صوب وفج ، ويأتون من الشمال والجنوب ، والشرق والغرب صوب المركز الذى حددوه هدفا للبلوغ .. ونحن لا ننكر أن لكل انسان أطماعه الشخصية ، وتطلعاته الفردية ، لكنها لا تقف حجر عثرة فى الوصول الى الغاية الكبيرة ، هؤلاء الأعداء قد اتركوا خطورة المعركة التى يخوضونها ، وضخامة الهدف الذى يسعون اليه ، ويدركون فى نفس الوقت أنهم قلة بأنفسهم كثيرون بحلفائهم ، فحالفوا أن يوهنوا قوى عدوهم فى فترة زمنية وأتاهم فيها الحظ ، ونفعتهم الامكانيات المتاحة التى استغلوها فى براعة ودهاء ، لكن

الامور لا تسير دائما على هذا النحو من التوفيق والنجاح ، فسرعان  
ما يدب فيهم عامل الوهن والفناء ، ويزول الزيف والخداع ، وتنفك  
الروابط المصطنعة التي وثقوها في غفلة منا ، ويعودون كما كانوا  
« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » ، وتظهر الطبيعة السيئة التي  
دمغوا بها ، فمركتهم ليست لله وانما للشيطان ، وكفاحهم من أجل  
العاجلة وليس الآجلة ، ولن يتزعزع بنيانهم ، وينهار سلطانهم الا  
اذا ودعنا غفلتنا ، وآمنا بالاسلامية سلوكا وفكرا ، واتخذنا للأمر  
عدته ، وانطلقنا في معركتنا تحت راية الحق والفضيلة في سبيل  
الله وحده ، عندئذ ينكشف الغطاء ، ويزول الزيف ، وتصبح كلمة  
الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، حتى ولو ساقوا جيوش  
الأرض قاطبة لحربنا .. « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » ..

( صدق الله العظيم )

## سلطان المادية

لقد استطاع المؤمنون الصادقون أن يحرکوا أبعاد الاسلامیة ،  
منهجاً وسلوكاً ، وبظریة وتطبیقا ، حق الإدراك ، ومعنى ذلك أيضاً  
أنهم فهموا الهدف والوسيلة ، كان الهدف هو الله ، وكان الطريق الى  
رضاه هو التمسك بآیات كتابه ، وسنة نبيه ، ولم تكن الحياة عند  
المسلم مادية صرفه ، ولا روحانية مطلقة ، بل كانت الحياة صورة  
سوية ، وانسجاماً مع واقع الانسان ، وتوافقاً مع طبيعته وفطرته ،  
ومزيجاً بين الروح والجسد ، والدنيا والآخرة ، دونما افراط أو تفريط ،  
إن البناء العقائدى أو الفكرى للمسلم بناء دقيق متوازن ، قائم على  
أسس قوية ، ودعائم صلبة ، يستلهم الوحي الأمين ، ويجوب الآفاق  
بعقل متفتح حر ، وبصيرة نقية تربت فى بيئة طاهرة تأنف من الاثم  
والفساد والتلوث . . فى اطار هذا الفهم ، وفى ظل تلك العقيدة  
استطاع المسلم أن يضرب فى جنبات الأرض ، فلا يصدر عنه  
الا الصدق فى الفعل والقول ، وبرغم ايمانه بالحرية الا أنه ملتزم . .  
ملتزم بشرع الله العادل المنزه عن الهوى أو الانحراف ، ومن ثم فقد  
كان المسلم فى حربه آميناً مع عقيدته ، وكان فى سلمه مرتبطاً  
بمبادئه ، وفى تجارته لا يتخطى قواعد الوفاء والولاء ، وفى علمه  
لا يخضع لضغوط المنفعة أو التعصب أو الانحراف ، فالعلم يؤمن  
بالصدق والموضوعية ، ويرتكز على التجارب والمقدمات والمشاهدة  
والاستنتاج ، وهى الجوانب التى تحتاج الى الجهد البشرى ، أما شرع  
الله بنصوصه وشروحه فهو فوق الشك أو المعارضة . .

فى هذا الجو المشبع بالصدق والأمانة والإيمان ، لم يفرز المسلم

الا كل عظيم وجليل فى أقواله وأفعاله ، فعلى المستوى الفردى كان الاخاء والمحبة والتضحية ، لهذا ولد المجتمع المتآزر المتحاب ، ووجدت الحضارة الكبرى التى ما برحت تشيع الأريج والمجد فى ثنايا التاريخ ، والتى ما زالت تطل علينا كتجربة حية لا مثيل لها .. وعلى مستوى الجماعة كان التنظيم الدقيق ، والتشريع الالهى ، والعدل الاجتماعى .. نعم .. كان هذا النجاح بسبب وضوح الهدف أو الغاية ، وبسبب نظافة الوسيلة وجلاء أصولها ومسالكتها ..

لقد أدرك أعداء الاسلام ذلك ..

ومن ثم أدخلوا فى روع القادة والمفكرين والفنانين وعلماء الاقتصاد والسياسة .. أقول أدخل أعداء الاسلامية فى روع هؤلاء جميعا أن الرخاء المادى هو هدف المجتمعات الحديثة .. الرخاء المادى أو السعادة كما يطلقون عليها .. واستطاع قادة الفكر والرأى أن يدخلوا على المسلم من كل جانب .. وحاصروه بهذا الفكر المسموم صباح مساء ، اذا فتح الصحيفة أو قرأ المجلة ، أو دخل السينما والمسرح ، أو اطلع على كتاب ، وجد هذه الفكرة المشئومة تطل برأسها . لا شىء سوى الرخاء الاقتصادى أو الانتعاش الاقتصادى .. لقمة العيش .. الترفيه .. وأصبح كل شاب أو فتاة لا يفكر الا فى العائد المجزى ، والمرتب الضخم ، وأدوات الحياة الحديثة من تليفزيون وثلاجة وغسالة وسيارة بصرف النظر عن امكانياته المحدودة ، المهم أن أحلام الشباب كلها تحوم حول الدخل الكبير والاستمتاع بالحياة وما فيها من وسائل مستحدثة للمرح والراحة وقضاء الوقت بطريقة مسلية .. نحن لا ننكر على أحد أهمية العامل المادى فى انتظام أمور

الحياة الدينيوية .. ولكننا نعترض بشدة على أن يكون الجانب المادى هو كل شىء .. أو أن يصبح الاستمتاع بمباهج الحياة المادية هو الهدف الذى لا غاية بعده .. ونستنكر الضلال الاعلامى الذى يزين لنا هذه الحياة التافهة ، وينقل عن أوروبا وأمريكا الصورة المغرية لتكالب الناس على المتع وكل ما يدور فى فلك الحياة المادية من مخترعات وسلع استهلاكية أو مطعم ومشرب وملبس ، ان القيم العليا بالنسبة للمسلم هى الأساس .. ولا يمكن أن تكون مقاييس السعادة « بالكم » .. فالملايين لا تسعد صاحبها ، اذا وقع فريسة القلق والخوف ، أو بات يعذبه الأرق واليأس ، أو ظل يتلوى من آلام عضوية أو نفسية مبرحة .. فالمادة ضرورية فى الحياة وليس من الضرورى أن تتناسب الضرورة المادية مع « الكم » المادى نقصا أو زيادة ، والذين يرتكبون حماقات من أجل الحصول على المتع المادية انما ينظرون الى الغد نظرة قصيرة حمقاء ، فليس الوجود منصب على الحياة البسيطة القصيرة التى نعيشها ، ولا على الانتصارات الصغيرة التى ترضى غرورنا وكبريانا ، ولا ترتبط من قريب أو بعيد بعقيدتنا ، وعندما تكون المادة غايتنا ، فستتحول الدنيا الى مزرعة تعسة يتخاطف فيها الناس الثمرات ، أو تصبح غابة مكتظة بالحيوانات المفترسة والوحوش ، لا يفوز فيها الا من أوتى القوة والسطوة والصولجان ، ولا حياة فيها للضعفاء والمساكين ، والحياة المادية الصرفة لا تسمع فيها صوتا يهتف باسم الله ، ولا همسة حب لتعس ، ولا ترى فيها من يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، ولا تجد من يتسابقون الى التضحية والعطف والايثار واعلاء كلمة الله ..

والحياة المادية الصرفة تخلق الأنانية والآثرة والحقد ، وتصيب الناس بجنون المنافسة ، وتجنح بهم الى الخوض فى دروب الفساد والرشوة والنفاق والوساطة والمحسوبية والدعارة ، أو تجر الى الذل والخوف والعبودية ، وهذا ما حدث فى الغرب والشرق ، فى العالم الرأسمالى أو الشيوعى ، حينما سيطرت المادة ، وأصبح تأثيرها خطيرا فى الفكر والسلوك والفن والسياسة والاقتصاد . .

أعود فأقول ان أعداء الإسلاميه قد صدروا اليها هذه المفاهيم ، وملأوا رؤوسنا بالأفكار الشاذة الغريبة عن ديننا وعقائدنا ، وأصبحت جماهيرنا تتبع - دون وعى - هذه الفلسفات المادية المتطرفة ، ونسيت جماهيرنا أن الله هو الغاية . . وليست المادة هي الغاية . . ان المادة مجرد وسيلة من الوسائل العديدة التى تمدنا ببعض الطاقة التى تساعدنا فى الوصول الى الله . . فعندما نعرف الله ونؤمن به ، نعرف بالضرورة قيم الحب والعدل والأخاء والتضحية والصبر ، وندرك أن التقوى خير الزاد ، وأن المؤمن الحق هو الذى تتحول حياته الى حلقات متصلة من الصبر والجهد فى سبيل الله ، لأجل أن تصبح كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . .

فالتبشير بالحياة المادية الصرفة ومباهجها ، وجعلها هي الغاية التى لا غاية بعدها ، كانت هي الغارة التى شنها أعداء الإسلاميه على أمتنا ، ومن ثم فقدنا تميزنا ، وانماعت شخصيتنا ، ولم نعد تلك الأمة التى لها مواصفاتها ومعاييرها الصادقة ، وتشريعاتها الالهية ، أصبحنا كائنات شاذة غريبا يرتدى أية أزياء ، وينطق بأى لسان ، ويحكم بأى قانون ، ويلهو بأى فن ، وتحولت الساحة الإسلاميه الى

أخلاق عجيبة ، أو أصبحت كالثوب المرقع ، وتفتح أذنك فتسمع كل شاذ وغريب من المشرق أو المغرب ، وتنظر بعينيك فتجد حلفاء الصليبية والشيوعية والاستعمار والاحاد والمبادئ الشاذة ، كلهم يخوضون معركة شرسة . . ضحاياها . . كل ضحاياها منا نحن . . نقتل أنفسنا بالأسلحة التي يقدمونها لنا ، وننفق على اللوائيم والسهرات الحمراء ، والسجون السوداء من المعونات التي يتفضلون بها علينا كذبا وبهتاننا ، كل ذلك الطوفان من الحقد والتدبير الحاقد قد مسح الوجه الاسلامي لأمتنا ، وحول حشودنا المؤمنة عن غايتها النبيلة ، وفتح لها باب الضياع والخسران على مصراعيه ، لكن الأمر لم يكن بهذا اليسر وهذه السهولة ، لقد تيقظت الفئات المؤمنة الواعية ، ورأت ما يدبر للاسلام من مكيدة ، وما يحاك لشعوبه من دسائس ومؤامرات قاتلة ، فحاولت جاهدة أن تكشف عن وجه الحقيقة ، وتشرح أبعاد التآمر الدامي ، واتخذت أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة منهاجا لها ، ودعت هذه الفئات المؤمنة جموع الناس الى العودة الى الحق والى طريق الله . . طريق النجاة والعدل والحرية والخلاص . . وما كان من المتوقع أن يسكت أعداء الاسلامية عن دعوات البعث الاسلامي الصادق ، وليس من المعقول أن يقف الأعداء مكتوفى الأيدي ، وهم يرون كل ما بفوه ينهار ويتحطم . . فكان أن أعطت إشارة البدء . . وهكذا فتحت السجون والمعتقلات ، ونشأت طبقة جديدة من الجلادين المرتزقة ، تربوا في أحضان العسف والفساد والعبودية ، فاستباحوا دماء الأبرياء ، وأعراض الأنقياء ، فقتلوا . . وفرضوا الحراسة . . وسلبوا . . ونهبوا . . وملأوا الصحف والأذاعات والمجلات ألوانا غريبة من الأكاذيب والترهات ، وألصقوا بالشرفاء



والأبرياء من رجال الدعوة الإسلامية أبشع التهم ، وخلقوا عالما من الوهم والأكاذيب .. وظنوا أن ذلك هو ختام المعركة ، ولن يقوم لدعاة الإسلامية بعدها قومة ..

لقد كانت مدارس السجون هي المنطلق الثانى للمخطط المادى بعد المنطلق الأول وهو انحراف الغاية .. وفى السجون اتخذت أساليب عجيبة لزراعة العقيدة ، وتوهين عرى الايمان ، ودك ماتبقى من حصون شامخة فى قلوب الرجال الأتقياء .. وقصة الطغاة مع كتائب العقيدة والايمان قصة معادة قديمة ، فهي مواجهة فظة بين الحق والباطل ، يستغل فيها الطغيان كل ما أوتى من قوة وبطش وحقد ، ليحتفظ بالسلطة فى يده ، ويشبع فى نفسه نزوات الغرور والمجد الكاذب ، متوهما أنه بذلك يحمى أمن الوطن والمواطن ، ناسيا أنه بذلك يجر الوطن للخراب والدمار ، ويقتل فى النفوس نزعة الحب والحرية ، ويخرج من مدرسته الفاشية جموعا تسير تحت كنف الذل والهوان ، والمستذلون لا يستطيعون أن يحققوا استقلالا ، أو يحموا أرضا ، أو يخلقوا كرامة ، أو يصنعوا تقدما ، حتى ولو كانت جرائمهم ترتكب باسم التقدمية أو باسم الصالح العام .. ونسى هؤلاء أو تناسوا أنهم بذلك يعتبرون العوبة فى يد أعداء الإسلامية ، اذ يمدونهم بالوسائل الخبيثة الخسيسة ، ويروجون لطغيانهم ، ويلتمسون لانحرافهم المعاذير .. هؤلاء الطغاة هم أعداء الإسلامية وإن كانوا مسلمين ، وهم أنصار الاتجاهات المادية الصرفة ، والهادمون لمعاقل الحرية والايمان وكرامة الانسان .. كم فى السجون والمعتقلات من هأس تشيب لهولها الولدان .. ولعل التصفية الجسدية هي أقصر الطرق للقضاء على الأيمان ، ولكن التدمير النفسى للمؤمنين فى

السجون هي أبشع وأحط وسيلة ترتكب في حق الإنسان والإيمان . لأنها عملية خبيثة تستخدم فيها حيل علم النفس ، وتجعل من الإنسان الذى كرمه الله حقلا لتجارب فيصبح المخلوق البشرى شبيها بحيوانات المعامل ، وتوجه اليه أقذع ألوان السباب والشتائم ، ويخضع لتجارب مريرة من العزلة والتجويع والتخويف ، والصاق الاتهم والنقائص والردائل بالمثل العليا ورجالها الأطهار ، والبحث فى الدين عن سند مخترع أو قول ضعيف ، أو اللجوء الى التحليل الخاطىء والتفسير المنحرف ، والتأويل المغرض فى جمع النصوص والقرائن لإدانة الأبرياء ، والنيل من معتقداتهم ، وبذر بذور الفتنة والشكوك وسوء الظن بين الأخ وأخيه ، والزوج والزوجة ، والجندي والقائد ، ومحاولة تدمير الكوادر التنظيمية للمؤسسات الإسلامية ، كل ذلك تحت ستار حملة إعلامية ظالمة ، تعتمد على الكذب والتلفيق لإثارة الجماهير المخدوعة ، وتحطيم الروح المعنوية لدى المجاهدين فى سبيل الله ، وإنتزاع الاعترافات المطلوبة - المخترعة - بوسائل التعذيب الشيطانية المستوردة من خبراء أوربا وأمريكا وروسيا وغيرها ، هؤلاء الخبراء الشياطين الذين جندتهم المادية الملحدة ، والصليبية الحاقدة دون وازع من دين أو ضمير ، والهدف الأكبر من وراء ذلك هو صرف دعاة الإسلام عن رسالتهم المجيدة ، وعزلهم عن المجتمع ، كما فعلوا حينما حاولوا عزل الدين عن الدولة ، ولا يمكن أن ينجو من هذه الفتنة الشرسة ، وتلك الحرب النجسة إلا من حمى الله .

ان التصفية الجسدية والنفسية التى خطط لها أعداء الإسلام كانت جزءا من مخطط كبير ، وليس أدل على وجود هذا المخطط من الحقائق التالية :

- **أولا :** ان ضرب التجمعات الاسلامية كان يحدث فى أكثر من بلد اسلامى فى أوقات متقاربة ، نراه فى مصر أو فى باكستان أو فى المغرب العربى أو السودان أو الحبشة أو تركيا أو أندونيسيا أو الفلبين .
- **ثانيا :** اتخاذ نفس الاساليب فى ضرب التحرك الاسلامى مما يوحى باتفاق تام على تطبيق خطة عامة للوصول الى الهدف الخبيث .
- **ثالثا :** تآذر وسائل الاعلام مع السلطة ، واتخاذها الكذب والتلفيق والحمولات الظالمة ضد الأبرياء ..
- **رابعا :** اجهاض الحركات الاسلامية قبل أن تبلغ مرحلة القوة والتأثير الكاملين .
- **خامسا :** مطاردة الأفراد ، والتضييق عليهم ، اذا بدا أن لهم فكرا مؤثرا ، أو لمعوا فى مجال القيادات الجماهيرية . ومحاولة صرف الناس عنهم بأية وسيلة من الوسائل ..
- **سادسا :** يظهر أعداء الاسلامية أنفسهم وكأنهم هم وحدهم الفاهمون لحقائق الاسلام ، والحافظون لقرائه ، والمدافعون عنه .
- **سابعا :** التمسح فى الفكر الاسلامى ، والصاق شعاراتهم وفلسفاتهم ببعض النصوص التى يشرحونها على هواهم ، بطريقة تخدم أغراضهم . كل ذلك باسم التطور ، وباسم التصور الدينى لحقائق الدين ( ٥ - أعداء الاسلامية )

فى العصر الحديث أو بالأسلوب المعاصر ، وفى الوقت نفسه يرمون المخلصين من الرجال بالجمود والرجعية ، وبالتخلف والتعصب ، ويظهرونهم بصورة منفرة تشتمئز منها النفوس ، حتى المحاكمات التى كان يساق إليها دعاة الاسلامية ، كانت تعقد بطريقة سرية ، وفى ظل السلطات الاستثنائية ، حتى لا تعرف الجماهير الحقيقة .

وتحضرنى فى هذه المناسبة حادثة مذبحة سجن طرة فى ١٩٥٧/٦/١ والتى راح ضحيتها ٢١ شهيدا ، وعدد كبير من الجرحى ، لقد صدر بيان رسمى آنذاك فى الصحف المصرية ، وأذاعته وكالة ناس السوفييتية ، هذا البيان يقول أنه حدث صدام بين بعض السجناء وحراس السجن ، وقد أدى هذا الصدام الى وقوع بعض الاصابات بين الطرفين . . . هكذا كان البيان . . . لم يذكر أن هناك ضحايا . . . ولا لمن ينتسب هؤلاء الضحايا ، ولم يحدد سبب الصدام الذى كان فى الواقع صداما من طرف واحد . . . ولم يذكر البيان أن النيابة قد أمرت - رغم أنفها - بحفظ التحقيق . . . ولم تذكر الصحف شيئا عن أولئك الشهداء الذين قتلوا ودفنوا فى صحراء العباسية فى أعوام ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦٥ ، أكان هذا هو العدل والحرية وميثاق الشرف ؟ ؟ . . .

ان عداا المادية للاسلامية عداا لا يعرف الرحمة ولا العدل ، ولا يرعوى من وازع من دين أو ضمير ، هذا العداا الخبيث يتزىى بأزياء مختلفة خادعة ، تخفى وراءها كل حقد ومكر ، وهذا العداا قد استغل الفكر والفن الزائفين فى الترويج لبضاعته ، واستطاع أن يموه

ويرشو ويعد ويهدد ، ويجر وراءه المخدوعين من رجال الدين ورجال القلم ، تحت شعارات براءة مسمومة ، ومن ثم لم يكن فى استطاعة الجماهير أن تكشف الحقائق الا بين فئات قليلة من الناس كان لها من عمق النظرة ، وصدق البصيرة ، والالتزام بمنهج الحق ، ما يجعلها تنجو من السقوط بين حبائل الشياطين ، أو تنخدع بالألفاظ البراقة والشعارات الخادعة . .

ليس العجيب إذن أن تحشد هذه الحشود كلها لضرب الاسلامية، وليس العجيب أن تكون المعركة على هذه الدرجة من الشمول والدقة والتخطيط الجهنمى ، ولكن الأعجب من هذا كله ، أن يخرج من تلك المحن القاسية رجالاً ما زالوا يؤمنون بالله ، لم يتزعزع إيمانهم من خوف ، ولم ترهبهم الدماء التى سالت ، ولم يوثسهم النصر الكاذب الذى حققته أجهزة القمع أو الجلادون الغلاظ الأكباد . . أليست هذه معجزة ؟ ؟ انها سر من أسرار الاسلامية التى حفظها الله وحماها من شر المفسدين على مختلف العصور . .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نرفع الشعار الاسلامى الخالد فى مواجهة المادية حيث يقول الله فى كتابه العزيز « وابتع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » . فالمسلم يعمل لعمران الدنيا وخدمة البشر ، والاستمتاع بنعم الله فى الأرض بالشروط التى شرعها الله سبحانه وتعالى ، على أن يكون الله من وراء القصد، وحتى تكون كلمة الله هى العليا ، فالدنيا دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، وعلى المؤمن أن يأكل ويشرب ويلبس دون اسراف ، وأن يراعى حقوق الآخرين فى ماله وصحته وعلمه ودينه ، ملتزماً بالقيم الانسانية العليا ، مؤمناً أن المادة وسيلة لا غاية ، وأن مظاهر

السلطة والقوة شر داهم اذا استغلت فى تحقيق الانانية والآثرة  
والأمجاد الشخصية ، وهى طاعة وعبادة اذا مهدت الطريق المستقيم  
لبنى البشر كي يسيروا تحت لواء الحب والاخاء ، والطهر والنقاء ،  
والصدق والتعاون ، والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الحق والفضيلة  
كى يسعد الناس ويأمنوا على عقيدتهم ومستقبلهم ، وأعراضهم  
وأموالهم ، وكرامتهم وحریتهم ..

● ولا شك أن سيطرة المادية على حياة المسلم تمسح بشخصيته،  
وتفقده السمات والملامح والأفكار التى تجعله مسلما حقيقيا ، وهذا  
هو سر تميح الشخصية الاسلامية فى مجتمعاتنا كما قلنا ، فلا النساء  
يمثلن حقيقة المرأة المسلمة اليوم الا ما ندر ، ولا الرجال فى متاجرهم  
ومصانعهم ودواوينهم تبدو عليهم صفات الرجال المؤمنين الذين  
حققوا أعظم وأعدل حضارة عرفها التاريخ ، ولا دور العلم فى بلاد  
المسلمين تكتسب الصفة الاسلامية ، بعد أن سيطرت المناهج المادية  
الملحدة على العلم والفكر والفن والسياسة والاقتصاد والتشريع ..  
أرأينا كيف تمكنت المادية من تدمير الأمة الاسلامية منهجا  
وسلوكا ، وأن هذه الفلسفة قد أوجدت مشكلات وأمراضا وانحرافات  
لا يمكن أن يكون الاسلام مسئولا عنها بأى حال من الأحوال ؟ ؟ ..  
واذا لم يدرك علماءنا ومفكروننا وقادتنا هذه الحقائق فلن يتحقق لنا  
نصر ، ولن تحل لنا قضية ، ولن ننال الحرية الحقيقية ، ولا الاستقلال  
الذى ننشده ، ولن نستطيع فى ظل المفاهيم السقيمة أن نتخذ المكانة  
اللائقة بنا ، تلك المكانة التى أرادها الله لنا « كنتم خير أمة أخرجت  
للناس » .

# الماركسية .. في مواجهة الاسلام ..

لا أعتقد أن قضية عداء الماركسية للإسلامية تحتاج الى اثبات أو تدليل ، فذلك أمر مفروغ منه ، لأن كتابات « ماركس » ، وزعماء الحركة الشيوعية وكذلك كل من شارك في صنع النظرية الماركسية أو تغييرها ، كل هؤلاء زعموا أن الأديان من صنع البشر ، وأنها حيلة مكررة لاستغلال الضعفاء والفقراء لمصلحة الاغنياء والاقوياء ، وأنها أفيون الشعوب ، تخدر المظلومين والكادحين حتى لا يشعروا بمأساتهم ، ولا يحاولوا انتزاع حقوقهم المسلوبة ، وعلى الرغم من أن الماركسيين يصفون دراساتهم وتحليلاتهم بالموضوعية والواقعية ، إلا أنهم لم يكونوا موضوعيين يقينا حينما عمموا أحكامهم الخاطئة بالنسبة للأديان على الاسلام بالذات ، ومعروف أن الاسلام له مبادئ خاصة تنظم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والشيوعيون لم يتناولوا هذه الجوانب بالدراسة المستفيضة أو التحليل الشامل المتكامل ، فالقضية أساسا قضية جهل وعدم موضوعية على الاطلاق ، وقد حاول البعض منا أن يجمع بين الاسلام والماركسية ، مثال ذلك ما قاله « سوكارنو » الذي قال « أنا ماركسي مسلم » ، وحاولت بعض الأحزاب الشيوعية ان تخدع الجماهير المؤمنة في بلادها ، وتقدم برامج سياسية واقتصادية فيها لون من ألوان الوفاق الزائف بين الماركسية والدين ، هذه المحاولات باءت كلها بالفشل ، لأن سياسة الماركسيين وأخلاقياتهم وتشريعاتهم وأساليبهم في التربية وهيكل التنظيمات الادارية ، والنشاطات الفنية

والحريات العامة من وجهة نظرهم ، كلها تتعارض مع الدين ، وتعلن عليه الحرب الخفية ، وتحاول الحد من تأثيره ، وضرب أنصاره وعلمائه كلما سنحت الفرصة لذلك ، وكان من جراء ذلك ضياع الكثير في الدول التي ابتليت بالفكر الماركسي ، أو جعلت من الماركسيين أوصياء على أجهزة الإعلام والتوجيه . .

الماركسية اذن لها وجهة نظر بالنسبة للدين ، سواء أعلنت ذلك أم لم تعلنه ، وتعتبر الدين رجعية وتخلفا وعقبة كأداء في طريق نموها وانتشارها وسيطرتها ، ولهذا كانت الأحزاب الشيوعية دائما في ناحية والتجمعات الدينية في ناحية أخرى ، ولم تكف الشيوعية عن تدبير المؤامرات ضد القوى الدينية ، مستخدمة أبشع الوسائل وأحطها ، ولا يخفى على أحد تلك التجربة المريرة التي خاضتها الشعوب الإسلامية في علاقاتها مع الشيوعية ، فقد كانت القروض التي تقدمها للدول ( الصديقة ) قروضا ومعونات مشروطة . . بثمن غال ، وكان أول هذه الشروط ضرب الحركات الإسلامية ، والتمكين للقوافل الحمراء كي تتولى زمام الأمر في المناصب القيادية والإعلامية ، وفتح أبواب السجون والمعتقلات لكل من تحدثه نفسه بانتقاد الشيوعية الدولية أو الدولة الأم ( روسيا ) ، وقد يقول قائل بأن بعض الحكام قد ضربوا التجمعات الماركسية كما ضربوا التجمعات الإسلامية ، والواقع أن ما حدث هو صدام مؤقت في بعض الأحيان بين السلطة والشيوعيين ، وكانت ظروف هذا الصدام في الحالات التالية :

١ - قد تشم السلطة رائحة خطر داهم يتهدها من الشيوعيين



المتطرفين فتبادر باتخاذ الاجراءات الضرورية التي لا بد منها لحماية نفسها ، ومنع تفشى الخطر ، هؤلاء المتطرفون لا يشكلون مجموع التكتل الشيوعى وانما هم فئة قليلة منه ، خرجت على ارادة القيادة الرئيسية .

٢ - أحيانا كانت السلطة تحاول أن تظهر للشيوعية الدولية أنها قادرة على خنق الحركات الماركسية أو تركها لتفنى وتترعرع ومن ثم فهي تلجأ الى أسلوب من الضغط أو الابتزاز لتفأل قدرا من العون أو التأييد عند تخفيف القبضة على التنظيمات الشيوعية .

٣ - ان افتعال الصدام مع الشيوعيين كان يسير فى خط متواز مع طبيعة العلاقات بين روسيا والدولة ( الصديقة ) فاذا ما تحسنت العلاقات ، ترك الحبل على الغارب للشيوعيين ، واذا ساءت العلاقات ، انعكس ذلك على معاملة الشيوعيين وأذئابهم .

ومع ذلك فان لحظات التوتر بين السلطات وبين الشيوعيين تعتبر كما قلنا مؤقتة ومحدودة ، أما ضرب الاسلاميين والتنكيل بهم فقد كانت سياسة ثابتة لا تتغير ، وكأنها هدف متفق عليه ، أو لعله الشئ الوحيد الذى لا خلاف عليه بين الماركسيين وأعداء الاسلامية من كل صوب ولون .

والشيوعيون ينظرون الى التاريخ ويحللون أحداثه ومراحله من خلال نظريتهم ، وفى ضوء المادية الجدلية ، وصراع الطبقات ، والعامل الاقتصادى الذى يعتبر فى نظرهم العامل الرئيسى ان لم يكن العامل الأوحد ، ولذلك نراهم يعتقدون على كرامة العلم والعلماء ،

ويكتبون التاريخ من وجهة نظر ضيقة منحرفة ، فزيفوا الحقائق ، وشوهوا البطولات ، ولوثوا المبادئ العظيمة ، وداسوا القيم الرفيعة ، فالجهاد في نظرهم عدوان واستعمار ، ونشر الدعوة والأخلاق الفاضلة تخلف ورجعية ، والتراث الديني خرافات ومقاهات وتخدير للشعوب ، والحديث عن الله والعبادات والشعائر مضيعة للوقت وهوس وسلبية .

وقد طبقت هذه السياسة بحذافيرها في الجمهوريات والدول الإسلامية التي ابتلعتها الشيوعية مثل تركستان الشرقية والغربية وغيرها ، فقد أحييت المساجد الى أفندية ومقار للحزب ، ان لم تهدم على رؤوس المصلين ، وأحرق الكثير من المصاحف وكتب التراث ، وسيق العلماء الى الموت أو العمل في معسكرات السخرة أو المنافي البعيدة في سيبيريا حيث البرد والموت والعذاب ، وديست القيم الفاضلة والأخلاق .

ولا أعتقد أن هناك عاقلا ينكر جو الرعب والارهاب والبؤس الذي يشيعه الحكم الشيوعي أو النفوذ الشيوعي في أى بلد من بلدان العالم . . بل ان مجرد الخلاف في بعض الأمور السياسية بين بعض بلدان المعسكر الشيوعي نفسه ، قد دفع روسيا لسحق المجر وتشيكوسلوفاكيا ، فأريقا الدماء ، وأذيق الناس ألوان العنت والشقاء ، هذا في عقر دارهم فما بالك اذا كان الصراع مع غيرهم الذين لا يتفقون معهم في خط من خطوط فلسفتهم الفكرية ؟ ؟ . .

ولا يستطيع منصف أن يؤمن بضرورة التصفية الدموية في صراع

الطبقات مهما كان الهدف ، ومهما كانت الغاية ، ان للانسان حقه في الحياة الحرة الشريفة ، وله كل الحق في أن يعبر عن أشواقه وآماله وآرائه ، فحياة الكبت والرعب ليست بحياة ، واذا لم يدرك العالم هذه القضية الخطيرة ، فان مستقبل الجنس البشرى كله - وليس الاسلاميون وحدهم - مهددون بكارثة عامة لا مهرب منها ولا نجاة . . . واذا كنا نحمل على الصليبية الاستعمارية حملات شعواء ، فان حملتنا على الشيوعية يجب أن تكون أشد وأعنف وبعض الشر أهون من بعض .

وعداء الشيوعية للاسلامية لا يتوقف عند حد النصوص والمقتطفات الواردة في كتبهم ونظرياتهم ، تلك التي جمعها وشرحها الكثيرون من كتاب الاسلام ، العداء لا يتوقف عند تلك النصوص ، وانما تحول الى سياسة دائمة ، فتاريخ روسيا مع دول العالم الاسلامى حافلة بالعدوان والحق ، فقد كانت روسيا ثانيا دولة اعترفت باسرائيل عند انشائها ، ولما عقدت أواصر الصداقة المزعومة بيننا وبينهم ، ظلت تعطى اسرائيل الكفاءات والمهارات على صورة مهاجرين يهود ، وكانت أمريكا تفتح مخازن السلاح الحديث لاسرائيل وتقدم لها المعونات الهائلة ، في الوقت الذي تقدم لنا روسيا سلاحا محدودا لا يكفي لمجرد الدفاع ، وتقبض الثمن بأرباحه المركبة ، وعندما احتدمت المعركة في أكتوبر ١٩٧٣ وقفت وقفة الغدر والخيانة ، برغم ما فرخته من أقواتنا وأرزاقنا ومواردنا الى بلادها . . . اسرائيل تأخذ السلاح بالمجان ، ونحن نشترى به بعرقنا وأقواتنا . . . بل نشترى فقط ما تسمح به الشيوعية الدولية . . . تلك التجربة المريرة لا يمكن أن تنساها الشعوب

المسلمة التي تحارب معركة مصيرية مع الصهيونية العالمية ..

عداء الشيوعية للاسلامية عداء نظري وعملي .. ولا يمكن أن تمتد  
يدها لنا الا اذا قصدت من وراء ذلك مصلحة من المصالح .. فليست  
صداقتها صداقة مبدأ أو عقيدة ، ولكنها علاقة آثمة قائمة على المكر  
والخدعة والتسالي الخبيث حتى تتمكن وتضرب ضربتها وتفرض  
السيطرة الحمراء ، وقد تكون علاقاتها بهدف تجارى بحت فتأخذ  
ما تحتاجه من دولنا ، أو تفتح لمنتجاتها أسواقا لدينا ، أو لتبيع لنا  
الفائض من سلاحها ، أو توقعنا فى قبضة ديونها حتى نتحكم فى  
مصائرنا .. والبون شاسع بين العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ،  
وبين العلاقات الروسية العربية مثلا . نحن لا ننكر أن لأمريكا أهدافا  
بعيدة أو قريبة تؤثر فى خطها السياسى وفى توزيع معوناتها  
وقرضها الطويلة الأجل ذات الربح البسيط ، المهم أن تلك الدول  
أو هذه تجعل مصالحها فوق كل اعتبار ، لكن الكراهية للاسلامية  
والعداء لها أمر متفق عليه لدى الجميع ، ذلك العداء هو العامل المشترك  
الأكظم فى نظرهم لنا ..

الشيوعية فى نظريتها وفكرها ومنهجها وسلوكها عدو لدود  
للاسلامية ، واذا كانت الرأسمالية تحمى حرية الفرد ونشاطه  
الاقتصادى ، وتساعد على الاحتكار والتحكم فى أرزاق الطبقات  
الدنيا ، وتستسلم لأهواء رجال المال ، وتجعل من رأس المال قوة  
مؤثرة فى السلوك السياسى والاجتماعى ، وتطحن المجموع على  
حساب الفرد ، اذا كانت الرأسمالية كذلك ، فان الشيوعية تسحق  
الفرد من أجل مصلحة المجموع وترهقه بالأعباء والقهر ، وتنزع حريقه

الشخصية ، وتسوق الناس كالقطعان الى العمل والانتاج ، وتجعل للحزب ميزات وحقوقا مقدسة ، وتتوثر الطبقة فى مستويات الحزب والسلطة ، باسم توفير لقمة العيش للجميع حتى وان أهدرت حرية الفرد وكرامته ، ذلك التطرف فى الحكم من جانب الرأسمالية يمينا ، ومن جانب الشيوعية يسارا ، يؤدى الى اختلال التوازن الاجتماعى ، ويبعث الاضطراب والفساد فى جنبات الحياة السياسية والاجتماعية وينحرف بالمسار الطبيعى لنمو المجتمع وسعادته وأمنه ، ويقضى على روح العدالة والاخاء والمحبة .

أما الاسلامية فقد كانت نظرتها الى الأمر أعمق وأعدل ، فقد أعطت للفرد حقه ، كما حفظت حقوق المجتمع ، فأعطت الفرصة للمواهب الفردية كي تتزعرع فى ظل المحبة والحرية ، وفى دائرة الحقوق والواجبات ، ثم انها قد أكدت العلاقات الانسانية الأخوية السامية بين الأفراد ، ومن هنا كان هدفها صنع المجتمع السعيد من مجموع الأفراد السعداء ، فلا طغيان من جانب على الجانب الآخر ، ولم تجعل الاسلامية الانتماء للحزب والأخلاص له هو الصفة التى تترفع بهذا وتهوى بذاك ، وانما جعلت التقوى والانصياع لأوامر الله هى التميز الذى يجعل للفرد مكانة سامية فى الدنيا ، وثوابا ونعيما فى الآخرة ، واذا كانت المكاسب الدنيوية هى مطمح الشيوعية والرأسمالية ، فان الاسلامية قد جمعت بين الخيرين ، خير الدنيا والآخرة ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك

من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض » (١) .

هذه التعادلية ، أو هذا التوازن الإسلامى الذى راعى مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، هو سر النجاح المذهل ، والمنجزات الرائعة التى حققتها الحضارة الإسلامية فى الماضى ، وفى مقدور تلك الحضارة أن تحقق ذلك النجاح وتلك المنجزات كلما أعطيت الفرصة لها ، فى أى زمان من الأزمنة ، وفى أى مكان من الأماكن ، وليس هذا بعجيب ، فالمذاهب الأرضية من رأسمالية وشيوعية كلها من صنع البشر ، وتعبر عن أهواء وظروف وتصورات مؤقتة ، أما الإسلامية فإنها من صنع الله الذى خلق كل شئ ، وهو العليم بطبائع الناس ، وأسرار الخلق ، وحركة المجتمع ، والعوامل المختلفة التى تؤثر فى سلوك الناس ونوازعهم أفرادا وجماعات . .

ان ارتباط مناهج الفكر والسلوك بالعقيدة الدينية أمر له أهميته القصوى ، فالفرق شاسع بين انسان يعمل فى هذه الدنيا وليس وراء عمله الا تحقيق الكسب والسعادة على وجه الأرض ، وانسان آخر يدرك أن الجزاء الحق ، فى عالم آخر غير هذا العالم الذى يعيش ، فالأول له أن يكذب أو يختلس أو يظلم ، ولا خوف من شئ يناله ، اللهم الا بعض القوانين الوضعية التى كثيرا ما يفلت منها ، أما الثانى فهو يعلم يقينا أن هناك الها يرى ويسمع كل شئ ، ويعرف خبايا النفوس ونوازعها ، ويضع الموازين القسط ليوم القيامة ، ويحاسب الناس حسابا دقيقا لا مجاملة فيه ولا تحيف ، ولا شك أن خلو

المناهج الفلسفية والأخلاقية من هذا الوازع ، يورث الناس الكثير من الفوضى والتجبر والأنانية ، فتنتبت المفاصد والمظالم التي لا حصر لها ، وتقود العالم الى الفناء والدمار .

ان أغلب ما كتبه الماركسيون عن الاسلام جاء بعد وضع نظريتهم ، ولذلك حاولوا أن يعتسفوا البراهين ، ويختلقوا الأدلة لاثبات صدق نظريتهم وفساد ما عداها ، ولو أن الأمر سار في مجراه الطبيعي ووضعوا أيديهم على أسرار الشريعة الاسلامية ، وفهموها حق الفهم لو فروا على أنفسهم الكثير من الجهد والعناء ، ولحافظوا على أرواح الملايين التي أزهقت عبثا ، ولكفوا أنفسهم مؤنة التدمير والخراب الذي شاع في بداية وأعقاب الثورة الماركسية العمياء .

وتعصب الماركسية الأعمى لنظريتهم جعلهم يغلقون أعينهم عن كل مذهب أو فكر مغاير ، فلا يتناولونه الا بقصد التجريح والتخريب والتفنيد ، أي أن لديهم نية مسبقة ، وحكما جاهزا يصدرونه ضد أي اتجاه يخالف اتجاههم ، وهذا منهج أبعد ما يكون عن الموضوعية والانصاف ، واذا كانت موجهاً الضعف والتمزق التي انتابت المسلمين في ديارهم تعتبر دليلاً ضد الاسلامية ، فان ذلك الاستنتاج خاطيء من أساسه ، لأن العيب ليس عيب الاسلامي ، ولكنه عيب الرجال الذين حملوا مبادئها وشعارها ، فهؤلاء المسلمون المتقاعسون قد تخلوا عن مبادئهم ، وبعثوا عن أهدافها ومراميها ولم يلتزموا بالعمل بها ولها ، وتركوا العنان لأهوائهم ومطامعهم ، فأصبحوا مسلمين اسما لا فعلا ، ولهذا نستطيع أن نقول انهم أوقفوا العمل

بتطبيق الفكر الاسلامى ، وأصبحوا فى الواقع دون انتماء له ، فكانوا كمن يحمل السلاح ولا يعرف كيف ومتى يستعمله ، أو كالمريض الذى يحمل ألوانا مختلفة من الدواء ، ولا يدري ماذا يستعمل ولا كيف يستعمله ، أو كمن يملك الأرض الصالحة للزرع ولديه البذور والماء والسماء ، ولا يفكر فى بذر البذور ، أو تمهيد الأرض والاستفادة منها . هؤلاء المسلمون المتقاعسون ليسوا حجة على الاسلام ، فهم يقفون - بغفلتهم وجهلهم - فى صف أعدائه فالخطأ اذن ليس خطأ المبادئ وإنما غفلة الرجال عن تلك المبادئ وعظمتها . .

ومع ذلك فقد كان يوجد فى كل عصر فئة من الرجال الأفذاذ والعلماء العمالقة ، استطاعت أن تقف فى وجه الطوفان ، وتطلق تداءات التحذير ، وتدعو بالعودة الى الاسلامية ، لأن فيها الخلاص والحرية ، وفيها الشفاء لكل أدواء المجتمع وتخلفه ، هؤلاء الأبطال ما زال التاريخ يحفظ لهم أنصع صفحاته ، ويسجل لهم بالفخر والاعتزاز مواقفهم الخالدة فى الدفاع عن حوزة الدين وتراثه وقيمه العريقة . . كما استطاعوا أن يتطوروا مع الزمن ، ويحاربوا جمود الفكر والتعصب ، وظلوا مستميتين فى مواقعهم لا يرهبون بطشا ولا وعيدا ، ولا يعبدون بارهاب أو تعذيب . « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (١) هؤلاء لم تغرهم الدنيا ببريقها ، ولم تستهوهم البدع المستوردة ، ولا الحيل الخبيثة ، فما انصرفوا عن



الجادة ، ولا حادوا عن الطريق ، بل ظلوا أمناء أوفياء لعقيدتهم  
ودينهم ، ولا شك أن هذا الصمود المذهل يعتبر معجزة في حد ذاته ،  
لأن تكاثر الأعداء ، وامتلاكهم لفاصية القوة والقول ، واستعدادهم  
بكل فتاك وقاهر من السلاح والأدوات الحديثة الجهنمية ، واتباعهم  
أحدث الأساليب الفكرية والدعائية ، وتربعهم في مواقع الحكم  
والسلطة ، لأن كل ذلك لم يمكنهم من القضاء على الإسلامية وتغلغلها  
في النفوس ، والاحتفاظ بنفوذها وتأثيرها على العقول والأرواح ..  
« انا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » (١) .

الإسلامية إذن لا تحابى الأغنياء على حساب الفقراء ، ولا تماليء  
الفقراء لضرب الأغنياء ، ولا تضع بذور حرب شعواء بين الجانبين ،  
ولا تنمى مشاعر الحقد والصراع الدامى بينهما ، فالأغنياء والفقراء  
أخوة في الله ، لكل منهما حقوق وواجبات مستمدة كلها من كتاب  
الله وسنة رسوله واجتهاد المجتهدين المخلصين من علماء المسلمين ،  
ولو أمكن تطبيق الإسلامية تطبيقاً صحيحاً لما كان هناك وجود  
لمشاعر الأنانية والحقد بين أفراد المجتمع المسلم ، وللحاكم المسلم  
الحق ، أن يرعى ذلك التوازن الاجتماعي والاقتصادي بالأسلوب  
السلامي النابع من المفاهيم والتصورات الإسلامية القويمة ، وعلى  
علماء الأمة أن يجتهدوا في ذلك ما وسعهم الاجتهاد حتى يحفظوا لذلك  
التوازن سماته وآثاره الإيجابية البناءة ..

نعود فنقول ان الماركسية من ألد أعداء الاسلاميه ..

وان ذلك العدا يتزى بمسوح العلم والموضوعية ، وهو أبعد ما يكون عن المنهج العلمى أو الموضوعية المنصفة ..

وان ذلك العدا مرتبط بنظرة كل منهما الى الآخر .. فالماركسية أرض والاسلاميه سماء .. وشتان بين الأرض والسماء ، والماركسية أفرزتها عقول مسممة مريضة حاقدة ، والاسلاميه قد نزل بها الوحي من عند الله خالق الأرض والسماء ، وهى وحى لا يأتية الباطل مزبين يديه ولا من خلفه .. والماركسية تجربة مريرة تنضح بالظلم والقسوة وسحق ارادة الانسان وكرامته وحرية ، والاسلاميه تجربة حية ، تتألق بكل نبل ووقار ومحبة وطهارة وعدل ، والماركسية سيف مسلط على رقاب العباد ، يستغلهم ويستعمرهم ويستنزف ثرواتهم باسم الطبقات الكادحة ، ويوقع بهم الاذلال والخوف ، أما الاسلاميه فهى « رحمة مهداة » ، تدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتفتح البلاد لتشرق عليها أنوار العدل والاخاء والايثار ، ولا تكرهم على اعتناقها بل « لكم دينكم ولى دين » (١) ، والجميع شركاء فى العمل والخير والرزق ، تنظم العلاقات الاخوية بينهم قواعد ومبادئ نزل بها الروح الأمين .. واذا كانت الماركسية دنيا ، فالاسلاميه دنيا ودين وآخرة .. واذا كانت الماركسية قوانين صارمة جائرة ،

فالإسلامية ضماثر حية ، وشرائع رحيمة ، لا تجنح للهوى ، ولا تميل مع شطط النفس وانحرافها وعقدها السوداء .. « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .. (١) .

انه أمر مستحيل الوقوع ، فليوفر فلاسفة الماركسية جهودهم الماركسية بالإسلامية ؟ ؟ ..

انه أمر مستحيل الوقوع ، فليوفر فلاسفة الماركسية جهودهم الضائعة في سبيل خداع المسلمين ، وليجمعوا أوراقهم ومؤلفاتهم المتناقضة وليذهبوا بعيدا عن ديارنا ، فلن يفرط المسلمون في عقيدتهم مهما كان الثمن ، ومهما كانت الظروف ، لأن المسلمين يؤمنون أن الخير كل الخير في استمساكهم بعقيدتهم ، وأن فيها الخلاص حينما تتأزم الأمور ، ويشتد الكرب ، ويتكاثر عليها الحاقدون والطامعون ، وأن النكسات التي تصاب بها الشعوب الإسلامية ليست كوارث أبدية ، وإنما هي مجرد صدمة ليفيق الغافلون ، ويتنبه النائمون ، وعندما تأتي اليقظة الكبرى فسوف تندثر كل القرهات والأكاذيب ، وتنمحي كل ألوان الزيف والباطيل ، وتصبح كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ..

وما ذلك على الله ببعيد ..

(١) البقرة آية ١٣٨

( ٦ - أعداء الإسلام )

# كلمة أخيرة

ان أعداء الاسلاميه كثيرون ، منهم من ذكرنا ومنهم من لم نذكر ، غير أن شجرة العداة تثمر الكثير من المفسد والأحقاد ، وأغلب التيارات المعادية تنبع من مدارس الأحاد والاستعمار الصليبي والصهيونية والشيوعية ، وكذلك من المذاهب المستحدثة في الفكر والسلوك كالوجودية والعلمانية الكافرة والاتجاهات الفردية المتطرفة التي تجعل من الإنسان الها يتعبد ذاته ، ويقدم القرابين والطقوس الشاذة لأهوائه ونزواته في محراب اللذة الفانية ، والأطماع القافهة .

وذلك العداة للاسلامية ليس من صنع دعاة الفكر الاسلامي ولا من مبادئهم ، فلبس في الاسلامية عداة لذات العداة ، فالاسلام محبة وصفاء وسلام ، يفتح ذراعيه لكل الشعوب جماعات وأفرادا . والقاعدة الأساسية للمسلم «أن يحب المرء لا يحبه الله، وأن يكرهه لا يكرهه الله» ، فنظرة المسلم لغيره ممن يحملون المبادئ التي تخالف شريعة الله وأوامره نظرة رفض لكل ما هو فساد وضلال ، والعلاقة اذن بين المؤمن والكافر علاقة تقسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليس فيها اكراه أو فحش أو افتئات ، ولا يرفع الاسلام سيفاً إلا في وجه من يعتدى عليه أو يهدر كرامة الإنسان وحريته . .

وقد يطرح البعض سؤالاً هاماً ألا وهو :

كيف تواجه الاسلاميه أعداءها ؟ ؟ .

هذا السؤال ذو أهمية كبرى ، ونستطيع أن نوجز موقفنا من حملات الحقد والعدا على النحو التالى :

**أولا -** يجب أن تحسن فهمنا لديننا وندرسه بكافة الوسائل ، وأن نعقد الدراسات المقارنة بينه وبين غيره من الأفكار والفلسفات والنظريات المختلفة ، وذلك يحتاج لجهد جهيد ، وإخلاص عميق ، وصبر طويل ، وتضحية متصلة ، من هنا ننطلق فى معركتنا ضد العدو من قاعدة علمية أصيلة ، ومن إيمان عميق بما نعلم ، وبذلك نستطيع حمل الأمانة الغالية التى جعلها الله منوطة بأعناقنا .

**ثانيا -** يجب أن يكون للداعية مسلما قولا وعملا ، بحيث يصبح صورة حية متحركة للإسلام ، وبذلك يعطى المثل الأعلى والدليل الأكيد على صدق المبادئ وعظمتها ، ويحقق بذلك معنى الاسلاميه فكرا وسلوكا .

**ثالثا -** ان لعدونا أسلحة تبدأ من الكلمة وتنتهى بالسلاح الحديث أيا كان نوعه ، ومن ثم فاننا مطالبون بأن ندافع عن مبادئنا وكياننا بنفس السلاح الذى يشهره العدو فى وجوهنا ان لم يكن أقوى من سلاحه ، ولا ندخر وسعا فى أن نحقق لأنفسنا القوة المادية والمعنوية فى هذا السبيل .

**رابعا -** ان استعدادنا للمعركة يجب أن يكون متكاملا فى شتى المجالات .. مجالات الفكر والفن والسياسة والاقتصاد والاعلام ،

وبذلك نعيش عصرنا ، ونعيش المعركة الضارية التي يشنها العدو .

**خامسا - ان المعركة لا يكفى ان تكون على مستوى الغيورين على الاسلام ، أو المتحمسين له ، بل يجب أن نستعد لها شعوبا وحكومات ، أفرادا وجماعات فى شتى أنحاء العالم الاسلامى ، ولا بد أن نقنع الحكومات المسئولة بذلك مهما كانت الوسيلة ، وهذا يقتضى أخذ الأمر مأخذ الجد ، وتحديد المواقف تحديدا فاصلا .**

**سادسا - يجب أن يكون الهدف واضحا ، وهو اعلاء كلمة الله فى الأرض ، ومعنى ذلك أن يتحرر المسلم من عبودية وخوف وغرض يتنافى مع الهدف الأسمى ، كما يجب أن يكون الرسول هو الأسوة الحسنة ، والمثل الصادق الذى نسير على هداه ، ونتبع طريقه : « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » .**

**سابعا - علينا أن نعمل جاهدين على « أسلمة » البيت والشارع والمصنع والمدرسة والصحيفة والاذاعة والتليفزيون ، ودواوين الحكومة والمتاجر ، وبهذا يكون لدينا المجتمع المسلم القادر على حمل رسالة الله ، وتحقيق الهدف . .**

**ثامنا - يجب أن يكون عطاؤنا أكثر من أخذنا ، وبذلك يتحقق معنى للتضحية والجهاد فى سبيل الله ، لأن المحصلة النهائية فى الواقع ستكون كسبا كبيرا ، وثوابا عظيما أكثر بكثير من أى عطاء قدمناه .**

**تاسعا -** لابد من تحصين أو تطعيم أنفسنا ضد تلك الأوبئة الفكرية بالتربية الصحيحة ، والتراث الكبير ، وبالمناهج السليمة فى تنشئة الأجيال - وخاصة الشباب - لأن درهم وقاية كما يقولون خير من قنطار علاج .

**عاشرا -** المرأة والطفل لهما اعتبار خاص فى برنامج العمل الإسلامى والتربية الإسلامية ، لأن المرأة فى مجتمعنا الإسلامى قد سقطت فريسة الكثير من التقاليد المستوردة ، والعادات المحمرة ، وأصبحت ملابسها وسلوكها وقيمها العامة التى تحكم حياتها ، وتصرفاتها الاجتماعية ، محبة لكل اضطراب واعوجاج فى كيانها النفسى والجسدى ، وبالتالي أصبح طفلها صورة صادقة لذلك الخل كله ، مما سيكون له أسوأ الأثر على مستقبله وموقفه ..

\*\*\*

ان مظلة الحرية التى تنشر جناحيها على الأمة هى الكفيلة بان تجعل الفرصة سانحة لترعرع القيم الإسلامية وسيادتها ، ومن هنا كانت دعوتنا الدائبة الى الشعوب والحكومات كى تمكن لهذه الحرية وتحميها بكل ما تملك من قوة .

● مسألة أخرى يثيرها البعض قائلا :

ألا يتعارض وجود الشريعة الإسلامية والمناهج الإسلامية مع مصلحة الأقليات غير المسلمة فى الدول الإسلامية ؟ ؟ ..

والواقع ان هذا سؤال يبعث الضحك ، ففى كل دولة من دول العالم أقليات ، ففى أوروبا وأمريكا والهند وروسيا وغيرها أقليات

اسلامية ، ومع ذلك فان هذه الاقليات لم تمنع تلك الدول من أن تتخذ لنفسها الدساتير والقوانين التي تحقق مصالحها ، ولم يكن وجود الاقليات الاسلامية حرجا عثرة في طريقها ، فضلا عن أن اسلامنا لم يغفل حقوق الاقليات غير الاسلامية لدينا ، فلهم حرية التفكير والعبادة ولهم محاكم الأحوال الشخصية طبقا لشرائعهم ، وليس معنى وجود ٥ ٪ مثلا من غير المسلمين أن تكون سببا في تعطيل سيادة الاسلامية بالنسبة للغالبية العظمى ( ٩٥ ٪ ) . فهل نستطيع أن نقول ان رغبات غالبية الشعب يعتبر لونا من التعصب والطائفية ؟ ثم ان اوامر الله فوق كل اعتبار . . فوق أهواء البشر وأطماعهم . . لانها أساسا قائمة على العدل والسعادة لهؤلاء البشر ، بل لا يصح أن يكون هناك استفتاء على شريعة الله ، لأنها نزلت للتطبيق ، ولم تفزل لأخذ رأى الناس فيها ، كل ما هنالك أن نقدمها للناس بالاقناع والتفاهم وسبحان الله « ليس كمثله شيء » .

### ● نقطة أخرى . .

ان الاسلام ليس عدوا للتقدمية ، بل ان مبادئه السامية بلغت من السمو والعدالة والانصاف وتحقيق الخير أقصى درجات التقدم ، فهي هدف نبيل يسعى اليه كل ذى عقل سليم ، وضمير حي ، ولم يقف الاسلام في تاريخه الطويل عقبة في سبيل التقدم العلمى أو حرية البحث والتجارب والمناقشة ، بل وضع لذلك كله الاصول والتقاليد الخالدة التي تحميها من الشطط والانحراف ، كما أن الاسلام يهتم « بالمضامين » الفكرية السليمة ، ولا يقف حجر عثرة في تطور



« الأشكال » الفنية أو المفاهج العلمية والفكرية ، فهو يهتم بالجواهر ولا يتعنت بالنسبة للمظهر ، وإن كان الاسلام فى عمومياته ، يجعل الوسيلة جزءا من الهدف ، والمظهر غطاء للجوهر ، فالكل وتحدة واحدة ، وإن اختلفت الدرجة من حيث القيمة . . . الاسلام يريد من المسلم أن يكون نظيف القلب والفكر والطوية ، ويريد منه فى نفس الوقت أن يكون نظيف الثياب والجسد ، منسق الشعر والهندام . . . ويوصى بالتطيب حتى تكون الرائحة طيبة ، ويقول لأتباعه : « نظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود » . . . صورة نبيلة سامية . . . أسمى ما تكون الحضارة . . . وأسمى ما يكون السلوك . . .

\* \* \*

اننى أنظر اليوم فأجد أن المعركة قد احتدمت بين الاسلامية وأعدائها . . . ومن واجبنا كمسلمين ألا نقف أزاء هذه المعركة متفرجين . . . لأن الأمر يرتبط بمصيرنا ومصير أجيالنا القادمة . . . وكل مطالب بأن يقول شيئا . . . ويفعل شيئا . . . فلا أقل من أن نبدى الرضى عن كل ما هو شريف ومستقيم ، ونظهر السخط على كل ما هو منحرف ضال . . . ولا أقل من أن تتفعل قلوبنا إن حبا أو كرها لكل ما يحيط بنا . . . وهذا أضعف الايمان . . . والمسافة بين أضعف الايمان وأقوى الايمان طويلة شاسعة لكل مسلم أن يتخذ الموقع الذى يناسبه . . .

ألا هل بلغت ؟ ؟ اللهم فاشهد . . .

نجيب الكيلانى

## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٧	ما هي الاسلاميه ؟
١٩	أعداء الاسلاميه
٣٢	الصليبيه والاستعمار
٤٧	الصهيونية •• دين • سياسه • وفكر • وفن
٥٨	سلطان الماديه
٦٩	الماركسيه •• في مواجهه الاسلاميه
٨٢	كلمه أخيره

\*\*\*